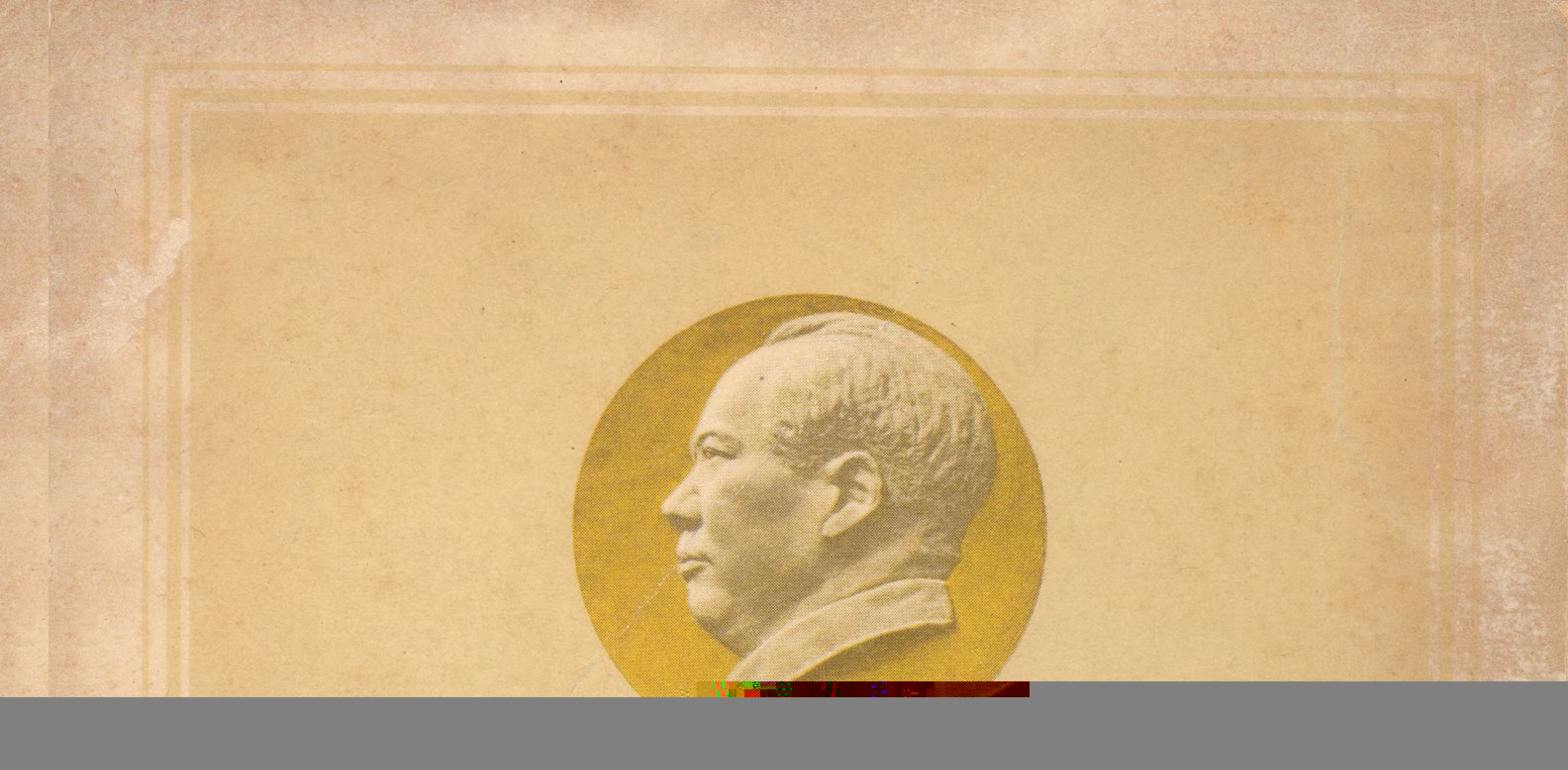


ماوتسي تونغ

حول
الحرب الطويلة الأمد

دار النشر باللغات الأجنبية
بكين ١٩٦٨

الطبعة الأولى . . . . عام ١٩٦٨

كلمة الناشر

جرت هذه الترجمة لكراس « حول الحرب الطويلة الأمد » وفقا للنص الصيني من « المؤلفات المختارة لماو تسي تونغ » ، المجلد الثاني ، (دار الشعب للنشر ببكين في أغسطس – آب – ١٩٥٢) .

طبع في جمهورية الصين الشعبية

هذه محاضرات متسلسلة ألقاها الرفيق ماو تسى تونغ أمام جمعية « دراسة حرب المقاومة ضد اليابان » فى يانآن من ٢٦ مايو (أيار) الى ٣ يونيو (حزيران) ١٩٣٨ .

لجنة نشر المؤلفات المختارة لماو تسى تونغ
التابعة للجنة المركزية للحزب الشيوعى الصينى

الفهرس

طرح القضية

١ ـ لقد قرب اليوم السابع من يوليو (تموز) يوم الذكرى السنوية الأولى لحرب المقاومة العظمى ضد اليابان . وبذلك يكون قد مضى عام كامل منذ أن حققت كل قوى أمتنا الوحدة والتضامن بينها ، وخاضت المعركة ضد العدو فى شجاعة وبسالة ، مثابرة على حرب المقاومة ومتمسكة بالجبهة المتحدة . ان شعوب العالم بأسره تتابع بكل اهتمام هذه الحرب التى لم يشهد لها مثيل فى تاريخ الشرق والتى سوف تعتبر حربا عظمى فى تاريخ العالم ، كما أن كل صينى يعانى من ويلات الحرب ويكافح فى سبيل بقاء أمته لا يقضى يوما الا وهو يتحرق شوقا الى النصر . ولكن كيف ستجرى هذه الحرب فى واقع الأمر ؟ وهل نستطيع احراز النصر ؟ وهل نستطيع احراز النصر عاجلا ؟ يرى كثيرون أن هذه الحرب ستكون حربا طويلة الأمد ، ولكن لماذا ؟ وكيف نقوم بها ؟ ويتحدث كثيرون عن النصر النهائى ، ولكن لماذا يمكن أن نحرز النصر النهائى ؟ وكيف نحرزه ؟ هذه أسئلة ليس كل شخص قد وجد جوابا عليها ، بل فى الحقيقة لم يجد لها معظم الناس جوابا حتى اليوم . ولذلك فقد برز الانهزاميون دعاة نظرية سقوط الصين يقولون للناس : ستسقط الصين فى يد العدو ، ولن يكون لها النصر النهائى . وكذلك برز بعض الأصدقاء المتسرعين ينادون بأن الصين ستحرز النصر عاجلا ، دون أن تبذل جهدا عظيما . فهل هذه الآراء صحيحة ؟ قلنا دائما انها ليست صحيحة . ولكن أكثرية الناس لم يدركوا بعد مغزى قولنا ، وسبب ذلك يرجع الى أننا لم نستوف عمل الدعاية

والايضاح ، ومن جهة أخرى يرجع الى أن الأحداث الموضوعية لم تتطور بعد الى درجة تنكشف معها طبيعتها الصميمة انكشافا تاما ، وتنجلى ملامحها بكل جلاء أمام الناس ، لهذا لم يجدوا سبيلا الى ادراك اتجاه هذه الأحداث ومستقبلها ، فلم يستطيعوا أن يحددوا لأنفسهم مجموعة كاملة من السياسات وأساليب العمل . أما الآن فلم يعد الأمر كذلك ، اذ لدينا تجربة الأشهر العشرة من حرب المقاومة ، وهى تكفينا لنقض نظرية سقوط الصين التى لا تستند الى أى أساس ، كما تكفينا لاقناع أصدقائنا المتسرعين بخطأ نظريتهم عن النصر العاجل . وفى ظل هذه الظروف يطالب كثيرون بايضاح شامل لتلك المسائل وخاصة نظرية الحرب الطويلة الأمد التى تواجه آراء معارضة لها من دعاة نظرية سقوط الصين ودعاة نظرية النصر العاجل وتتعرض أيضا للمفهوم السطحى الفارغ عنها . ولقد تداولت ألسنة الجماهير الغفيرة هذه الصيغة : « منذ حادثة لوقوتشياو (١) أخذ الأربعمائة مليون من الصينيين يبذلون جهودهم المشتركة ، فسوف يكون النصر النهائى حليفا للصين . » ان هذه صيغة صحيحة ، ولكنها تحتاج الى اكمال مضمونها . ونحن اذا كنا قد استطعنا المثابرة على حرب المقاومة ضد اليابان والتمسك بالجبهة المتحدة فان الفضل فى ذلك عائد الى عوامل عديدة . وهذه العوامل هى ، فى الصين ، جميع الأحزاب السياسية من الحزب الشيوعى الى الكومينتانغ ، والشعب كله من العمال والفلاحين الى البرجوازية ، وكل الجيوش من قواتها النظامية الى فصائل العصابات ، أما على الصعيد العالمى فهى قطر الاشتراكية وجميع الشعوب الشغوفة بالعدالة ، وأما فى معسكر العدو فهى : من بعض أبناء الشعب المعارضين للحرب فى داخل البلد الى الجنود المعارضين للحرب فى الجبهة الأمامية. وباختصار ، فان هذه العوامل قد أسهمت كلها ، بدرجات متفاوتة ، فى حرب المقاومة التى نخوض غمارها . وعلى كل شخص له ضمير أن يقدم لهؤلاء التحية . ان الاتجاه الوحيد الذى ينبغى أن نلزمه نحن الشيوعيين وسائر الأحزاب

السياسية المشتركة فى حرب المقاومة والشعب بأسره ، هو العمل بجد على توحيد جميع القوى من أجل قهر الغزاة اليابانيين الذين لم يتركوا اثما الا واقترفوه . سوف يصادف اليوم الأول من يوليو (تموز) القادم الذكرى السنوية السابعة عشرة لتأسيس الحزب الشيوعى الصينى . فمن الضرورى فى سبيل تمكين كل شيوعى من أن يلعب دورا أفضل وأعظم فى حرب المقاومة هذه ، أن ندرس بصورة خاصة الحرب الطويلة الأمد . لذا سأركز محاضراتى المتسلسلة هذه على دراسة الحرب الطويلة الأمد . وأود أيضا أن أتعرض للمسائل الأخرى المتعلقة بالموضوع ، لكننى لن أستطيع أن أتطرق الى كل شىء ، اذ لا مجال لذلك فى سلسلة واحدة من المحاضرات .

٢ – لقد مضت عشرة أشهر منذ اندلاع حرب المقاومة ، وجميع التجارب التى استخلصت تثبت خطأ وجهتى النظر التاليتين : نظرية سقوط الصين المحقق ونظرية نصر الصين العاجل . فالأولى تبعث على الميل للمهادنة ، والثانية تبعث على الميل لاستصغار شأن العدو . ودعاتهما ينظرون جميعا الى القضية المطروحة نظرة ذاتية ووحيدة الجانب ، وبكلمة واحدة ، نظرة غير علمية .

٣ – وقبل نشوب حرب المقاومة كانت هناك أقاويل تزعم بسقوط الصين ، ومنها مثلا : « ان العدو أقوى من الصين سلاحا فاذا حاربت فستهزم لا محالة . » و« اذا ما خاضت الصين حرب المقاومة ، فمن المؤكد أنها ستنتهى الى مصير الحبشة . » ولما نشبت حرب المقاومة اختفت الدعاية العلانية لنظرية سقوط الصين ، ولكن الدعاية صارت تجرى بصورة سرية ونشيطة . وعلى سبيل المثال ، فان جوا من المهادنة يظهر تارة ويختفى طورا ، ويحتج دعاة المهادنة بأن « الاستمرار فى الحرب يعنى الهلاك الحتمى »(٢) . لقد كتب الينا طالب من مقاطعة خونان يقول : « انى أشعر بأن كل شىء فى الريف يصعب على . فلما كنت أقوم بالعمل الدعائى بمفردى ، كان يلزمنى مخالطة الناس

ومكالمتهم مغتنما جميع المناسبات . وجميع هؤلاء الذين تحدثت معهم ما كانوا بالجهلة ، فهم يعرفون الأحداث الجارية بعض المعرفة على كل حال ، ويظهرون اهتماما شديدا بما أقوله لهم . ولكن كلما التقيت ببعض أقربائى هنا رددوا على وتيرة واحدة : "لن تنتصر الصين ، انها هالكة ." ولشدما دفعونى على كراهيتهم . ومن حسن الحظ أنهم لا ينشرون آراءهم ، ولو فعلوا ذلك لساء الأمر ، لأن الفلاحين يثقون بهم ، بطبيعة الحال ، أكثر من ثقتهم بى ! »

ان مثل هؤلاء الذين ينادون بنظرية سقوط الصين المحقق يشكلون الأساس الاجتماعى للميل الى المهادنة ، ويمكن أن نجد أناسا من هذا النوع فى كل مكان من الصين ، لذا فمن المحتمل أن تظهر فى أية لحظة محاولات المهادنة داخل جبهة المقاومة ضد اليابان ، وربما ستستمر حتى نهاية الحرب . والآن وقد سقطت مدينة شيوتشو وأصبحت مدينة ووهان فى خطر ، أعتقد أنه ليس من العبث أن ندحض نظرية سقوط الصين دحضا شديدا .

٤ — لقد ظهرت خلال الأشهر العشرة من حرب المقاومة ضد اليابان آراء متنوعة تنم عن الاندفاع والتسرع ، ففى مطلع حرب المقاومة مثلا ، كان الكثيرون يتفاءلون تفاؤلا لا أساس له . كانوا يستصغرون شأن اليابان بحيث ظنوا أن اليابانيين لن يتمكنوا من أن يصلوا الى مقاطعة شانشى . وكان آخرون يستخفون بدور حرب العصابات الاستراتيجى فى حرب المقاومة ضد اليابان ، ويشكون فى صحة الصيغة الآتية : « باعتبارنا للكل فان الحرب المتحركة هى الشكل الرئيسى وحرب العصابات هى الشكل المساعد . أما باعتبارنا للجزء ، فتصبح حرب العصابات هى الشكل الرئيسى والحرب المتحركة هى الشكل المساعد » . كما أنهم لا يوافقون على المبدأ الاستراتيجى التالى الذى اتبعه الجيش الثامن : « القيام من حيث الأساس بحرب العصابات مع عدم التقاعس عن الحرب المتحركة عندما تكون الظروف ملائمة . » اذ هم يعتقدون أن هذا

المبدأ يمثل نظرة « ميكانيكية » (٣) . وقال بعض الناس فى أثناء معركة شانغهاى : « يكفينا أن نصمد ثلاثة أشهر فقط ، وحينئذ لا بد من أن يتغير الوضع العالمى ويدخل الاتحاد السوفياتى الحرب ، فستنتهى الحرب . » انهم يعلقون آمالهم فى مستقبل حرب المقاومة ضد اليابان ، بصورة رئيسية ، على المساعدة الأجنبية (٤) . وقد رأى بعض الناس بعد انتصارنا فى حملة تايرتشوانغ (٥) أن حملة شيوتشو ينبغى أن تكون « حملة شبه حاسمة » ، فنادوا بوجوب تبديل سياسة الحرب الطويلة الأمد المتبعة فى الأيام الماضية . وزعموا : « هذه الحملة ستعبر عن الجهد اليائس الأخير للعدو » ، و« اذا أحرزنا النصر فى هذه الحملة ، فسوف تتضعضع معنويات أمراء الحرب اليابانيين ، ولن يبقى أمامهم الا أن ينتظروا الحساب الأخير » (٦) . لقد أدارت نشوة الانتصار عند ممر بينغشينغقوان (٧) رؤوس بعض للناس ، بينما أطاش الانتصار فى تايرتشوانغ رؤوس عدد أكبر من الناس . ومن ثم جعل الناس يتساءلون عما اذا كان العدو سوف يزحف الى مدينة ووهان . فقد كان للكثيرون يحسبون أنه « من غير المؤكد أن يزحف اليها » ، كما اعتقد كثيرون آخرون بأن العدو « لن يزحف بكل تأكيد » . ان مثل هذا التساؤل يمكن أن يمس جميع القضايا الهامة . فيقال مثلا : هل لدينا قوى كافية لمقاومة اليابان ؟ يمكن أن يكون الجواب بالايجاب ، ذلك لأنه ما دامت قوانا الحالية قد استطاعت أن تمنع العدو من مواصلة الهجوم ، فهل من داع الى زيادتها اذن ؟ ويقال مثلا : هل شعار تعزيز الجبهة الوطنية المتحدة ضد اليابان وتوسيعها ما زال صحيحا ؟ يمكن أن يكون الجواب بالنفى ، ذلك لأنه ما دامت تستطيع الجبهة المتحدة ، وهى فى حالتها الراهنة ، أن تضمن لنا رد العدو على أعقابه ، فهل من داع الى تعزيزها وتوسيعها ؟ ويقال مثلا : هل يجب تعزيز نشاطنا الدبلوماسى وعملنا الدعائى على الصعيد العالمى ؟ يمكن أن يكون الجواب بالنفى أيضا . ويقال مثلا : هل

يجب السعى بكل جد لاصلاح نظام الجيش والنظام السياسى ، وتطوير الحركة الجماهيرية ، وتطبيق التربية والتعاليم حول الدفاع الوطنى تطبيقا دقيقا ، وقمع الخونة والتروتسكيين ، وتطوير الصناعة الحربية ، وتحسين ظروف معيشة الشعب ؟ ويقال مثلا : هل الشعارات الخاصة بالدفاع عن مدينة ووهان ومدينة قوانغتشو والشمال الغربى وتطوير حرب العصابات بقوة وعنف فى مؤخرة العدو ما زالت صحيحة ؟ قد تكون الأجوبة كلها بالنفى . حتى ان بعض الناس يستعدون ، حالما يتحسن الوضع العسكرى ولو قليلا جدا ، لزيادة الاحتكاك بين الكومينتانغ والحزب الشيوعى ، محاولة لصرف الأنظار عن القضية الخارجية الى القضية الداخلية . وهذه الحالة تحدث تقريبا كلما انتصرنا فى معركة كبيرة نسبيا أو كلما توقف هجوم العدو بصورة موقتة . ونحن نسمى كل ما سبق ذكره بقصر النظر السياسى والعسكرى . وتبدو تلك الآراء معقولة على شفاه دعاتها ، ولكنها فى الحقيقة ثرثرة واهنة لا تستند الى أى أساس . ان وضع حد لهذه الثرثرة سوف يسهل مواصلة حرب المقاومة ضد اليابان بصورة مظفرة .

٥ — يطرح السؤال اذن على هذا النحو : هل ستسقط الصين ؟ الجواب : كلا ، لن تسقط الصين ، بل سوف يكون النصر النهائى حليفا لها . اذن فهل تستطيع الصين أن تنتصر عاجلا ؟ الجواب : كلا ، لن تستطيع ذلك ، وحرب المقاومة ضد اليابان ستكون حربا طويلة الأمد .

٦ — لقد أشرنا عموما قبل سنتين ، الى وجهات النظر الرئيسية حول هذه المسائل . ففى ١٦ يوليو (تموز) ١٩٣٦ ، أى قبل حادثة شيآن(٨) بخمسة أشهر وقبل حادثة لوقوتشياو بسنة ، قدرت فى حديث مع الصحفى الأمريكى السيد ادغار سنو ، الوضع حول الحرب الصينية اليابانية تقديرا عاما ، وطرحت سياسات مختلفة هادفة الى تحقيق النصر . وليس من مانع أن أنقل هنا بالحرف الواحد بعض الحديث لاعادته الى ذاكرتنا :

سؤال : فى أية ظروف تستطيع الصين أن تقهر قوات الامبريالية اليابانية وتقضى عليها ؟

جواب : هناك ثلاثة شروط لا غنى عنها : أولا انشاء جبهة متحدة صينية ضد اليابان ، وثانيا انشاء جبهة متحدة عالمية ضد اليابان ، وثالثا نهوض الحركات الشعبية الثورية فى اليابان وفى المستعمرات اليابانية . والشرط الرئيسى من هذه الشروط الثلاثة ، انطلاقا من موقف الشعب الصينى ، هو اتحاده الكبير .

سؤال : الى متى ستستمر هذه الحرب فى رأيك ؟

جواب : يتوقف ذلك على قوة الجبهة المتحدة الصينية ضد اليابان وعلى عوامل حاسمة عديدة أخرى لدى الصين واليابان . وهذا يعنى أنه الى جانب قوة الصين الخاصة التى تشكل العامل الرئيسى يكون للمساعدة العالمية المقدمة الى الصين والمساعدة من قبل الحركة الثورية فى اليابان شأن عظيم فى هذا المضمار . فاذا تطورت الجبهة المتحدة الصينية ضد اليابان فى قوة واندفاع ونظمت بصورة فعالة من الناحيتين الأفقية والعمودية ، واذا تلقت الصين المساعدة اللازمة من الحكومات والشعوب التى تدرك خطر الامبريالية اليابانية على مصالحها الخاصة ، واذا قامت الثورة فى اليابان عاجلا ، فان هذه الحرب ستنتهى سريعا ، وستحرز الصين النصر عاجلا . أما اذا لم تتوفر هذه الشروط بصورة سريعة فان الحرب ستطول . ولكن نتيجتها ستكون هى هى : الهزيمة المحققة لليابان والنصر الأكيد للصين . ولكن سوف نقاسى تضحيات جسيمة ونجتاز فترة أليمة جدا .

سؤال : ما رأيك فى تطور هذه الحرب المحتمل من الناحية السياسية والعسكرية ؟

جواب : بما أن اليابان قد حددت سياستها القارية ، فان أولئك الذين يعتقدون أنه من الممكن ايقاف هجوم اليابان بواسطة المهادنة معها وبواسطة التضحية بالمزيد من الأراضى الصينية والسيادة الصينية ، انما ينساقون مع الوهم الخالص . ولقد علمنا علم اليقين أن أسفل نهر اليانغتسى وموانينا البحرية الجنوبية ، هى مدرجة الآن فى السياسة القارية للامبريالية اليابانية . وزيادة على ذلك ، فان اليابان تطمع فى الاستيلاء على الفيليبين وسيام وفيتنام وشبه جزيرة

الملايو والهند الشرقية الهولندية لكى تعزل الصين عن البلدان الأخرى ، وتسيطر على الجزء الجنوبى الغربى من المحيط الهادى دون منازع . تلك هى سياسة اليابان البحرية . ومما لا شك فيه أن الصين ستواجه فى مثل هذه الفترة موقفا فائق الصعوبة . بيد أن الأغلبية من الصينيين على ثقة بأنه يمكن تذليل هذه الصعاب ؛ وانما الأغنياء فى المدن التجارية الكبرى هم الانهزاميون ، اذ أنهم يخشون على ثرواتهم من الضياع . وهناك كثير من الناس يعتقدون أنه سوف يصير من المحال على الصين مواصلة الحرب متى فرضت اليابان الحصار على السواحل الصينية . ان هذا محض هراء . ولا غضاضة فى أن نستشهد بالتاريخ الحربى للجيش الأحمر لدحض مزاعمهم . ففى حرب المقاومة ضد اليابان تتمتع الصين بتفوق يزيد كثيرا عما كان يحظى به الجيش الأحمر فى الحرب الأهلية . ان الصين بلد شاسع ، فهيهات أن نهزم حتى ولو استولت اليابان على مناطق يبلغ عدد سكانها مئة مليون الى مئتى مليون نسمة ، لأنه مع ذلك ستبقى لدينا قوى جبارة للنضال ضد اليابان ، بينما اليابان ستضطر الى خوض المعارك الدفاعية فى مؤخرتها فى كل ساعة طيلة الحرب . ان الصين ليس اقتصادها موحدا ولا متوازن التطور ، ولكن هذه الحالة تعود بفائدة على حرب المقاومة ضد اليابان . مثلا : اذا عزلت مدينة شانغهاى عن الأماكن الأخرى لا تنكب بلادنا مثل ما تنكب الولايات المتحدة اذا ما عزلت نيويورك . وحتى لو أن اليابان قد استطاعت أن تفرض الحصار على السواحل الصينية ، فانها لن تستطيع ذلك على شمال غربى الصين وجنوبها الغربى وغربيها . لذلك فان النقطة الرئيسية فى المسألة هى ، كما ذكرت آنفا ، أن يتحد الشعب الصينى بأسره لانشاء جبهة المقاومة ضد اليابان فى البلاد كلها . وهذا ما طرحناه منذ زمن بعيد .

سؤال : اذا ما طالت الحرب كثيرا ولم تنهزم اليابان بصورة تامة ، فهل يوافق الحزب الشيوعى على المفاوضات من أجل الصلح مع اليابان ويعترف بسيطرتها على شمال شرقى الصين ؟

جواب : كلا ، لا يمكن ذلك ، فان الحزب الشيوعى الصينى مثله كمثل الشعب الصينى بأسره ، لن يسمح لليابان أبدا بأن تحتفظ بأى شبر من الأراضى الصينية .

سؤال : ما هو المبدأ الاستراتيجي الرئيسي الواجب اتباعه فى حرب التحرير هذه كما ترى ؟

جواب : ان مبدأنا الاستراتيجي ينبغى أن يقوم فى استخدام قواتنا النظامية فى القتال على جبهات جد طويلة وغير ثابتة . واذا ما أرادت القوات الصينية أن تحرز الانتصار فمن الضرورى أن تقوم فى ميادين قتال واسعة بالحرب المتحركة فى أعلى درجاتها ، حيث تتقدم بسرعة وتتراجع بسرعة ، وتتركز بسرعة وتتفرق بسرعة . وهذه هى الحرب المتحركة الواسعة النطاق ، وليست بالحرب الموقعية التى تعتمد على الاستحكامات الدفاعية بحفر الخنادق العميقة وتشييد الحصون العالية واقامة الخطوط الدفاعية المتلاحقة . وهذا لا يعنى التخلى عن جميع المراكز العسكرية الحيوية ، بل يجب الدفاع عنها بالحرب الموقعية أيضا ، ما دام هذا الدفاع مفيدا من الناحية الاستراتيجية . الا أن المبدأ الاستراتيجي الذى من شأنه أن يغير الوضع الكلى لا يمكن أن يكون غير الحرب المتحركة ، أما الحرب الموقعية فهى ، مع ضرورتها ، لن تكون سوى مبدأ ثانوى ومساعد . ان ميدان قتالنا من الناحية الجغرافية واسع للغاية بحيث يمكن أن نقوم بالحرب المتحركة بأكبر فعالية . وسيضطر الجيش اليابانى ، لدى اصطدامه بالنشاطات العسكرية العنيفة التى ستباشرها قواتنا ، الى أن يتصرف بحذر وحيطة . وان أجهزة الجيش اليابانى الحربية ضخمة جدا ، وحركتها شديدة البطء ، وفعاليتها محدودة . فاذا ما ركزنا قواتنا فى جبهة ضيقة حيث نخوض حرب الانهاك من أجل المقاومة ، فسيفقدنا ذلك مزايانا فى ناحيتى الجغرافيا والتنظيم الاقتصادى ، وبذلك نرتكب خطأ مماثلا للخطأ الذى ارتكبته الحبشة . ويجب علينا فى الفترة الأولية من الحرب أن نتفادى جميع المعارك الحاسمة الكبرى ، وأن نلجأ أولا الى الحرب المتحركة لكى نحطم تدريجيا معنويات قوات العدو وقدرتها القتالية .

ويجب أن ننظم ، الى جانب استخدام قوات حسنة التدريب فى الحرب المتحركة ، عددا كبيرا من فصائل العصابات فيما بين الفلاحين . ويجب أن نعرف أن قوات المتطوعين المناهضين لليابان فى المقاطعات الشمالية الشرقية الثلاث لا تمثل الا جزءا صغيرا من قوى المقاومة الكامنة التى يمكن تعبئتها من

أوساط الفلاحين فى جميع أرجاء البلاد . ان هناك قوى هائلة جدا تكمن لدى الفلاحين الصينيين ، فاذا استطعنا أن ننظمها ونقودها كما ينبغى ، فسوف نتمكن من جعل الجيش اليابانى ينشغل بها ليل نهار ، وتخور قواه من مواجهتها . ويجب ألا يغيب عن البال أن هذه الحرب ستدور فى أرض الصين ، وهذا يعنى أن الجيش اليابانى سيقع كله فى الحصار من قبل الصينيين المعادين له ، وهذا سيحمله على أن يجلب من اليابان كل ما يحتاجه من المهمات الحربية ثم يحميها بنفسه ، كما أنه سيضطر الى استخدام قوات كبيرة لحماية خطوط المواصلات من هجمات محتملة بين لحظة وأخرى . وفوق ذلك سيضطر أيضا الى ابقاء عدد كبير من القوات فى منشوريا وفى اليابان .

وتستطيع الصين فى مجرى الحرب أن تأسر كثيرا من الجنود اليابانيين ، وأن تستولى على كميات ضخمة من الأسلحة والذخائر فتتسلح بها ، كما تستطيع أن تحصل على العون الأجنبى ، مما يقوى تسلح الجيش الصينى تدريجيا. وبفضل ذلك سوف تتمكن الصين ، فى الفترة الأخيرة من الحرب ، من ممارسة الحرب الموقعية ، ومن شن الهجوم الموقعى على المناطق التى تحتلها اليابان . وهكذا سينهار الاقتصاد اليابانى بعد أن تستنزفه حرب المقاومة الصينية مدة طويلة ، وستتحطم معنويات الجنود اليابانيين بعد ما تضنيهم معارك لا حصر لها . أما جانب الصين ، فان قواها الكامنة للمقاومة ستندفع وتزخر يوما فيوما ، وتتدفق أعداد هائلة من الجماهير الثورية الى الجبهة الأمامية لتناضل من أجل الحرية . وهذه العوامل مع عوامل أخرى سوف تمكننا من شن هجمات أخيرة وقاضية على الحصون والقواعد فى المناطق التى تحتلها اليابان ، فنطرد القوات اليابانية المعتدية من الصين . (انظر كتاب ادغار سنو : « انطباعاتى حول شمال غربى الصين »)

ان تجربة الأشهر العشرة من حرب المقاومة قد أثبتت صحة وجهات النظر المذكورة ، وكذلك سوف تثبتها حرب المقاومة باستمرار فى مجراها المقبل .

٧ ـ بعد حادثة لوقوتشياو بشهر واحد وأكثر ، أى فى يوم ٢٥ أغسطس

(آب) ١٩٣٧ ، أشارت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني في « قرار حول الوضع الراهن ومهمات الحزب » بكل وضوح الى ما يلي :

ان استفزاز الغزاة اليابانيين في لوقوتشياو واحتلالهم ببيبنغ وتيانجين ليس سوى بداية هجوم واسع يشنونه على جنوب سور الصين العظيم . وقد بدأوا في اليابان بالتعبئة العامة من أجل الحرب . وان دعايتهم الزاعمة بأنهم لا يضمرون « رغبة في تأزيم الوضع » ، ما هي الا ستار من الدخان لتغطية هجماتهم اللاحقة .

أن المقاومة التي جرت في ٧ يوليو (تموز) عند لوقوتشياو قد شكلت نقطة الانطلاق لحرب المقاومة الوطنية الصينية .

ومنذ ذلك الوقت دخل وضع الصين السياسي مرحلة جديدة ، مرحلة المقاومة الفعلية . أما مرحلة الاستعداد لحرب المقاومة فقد انقضت . وأهم مهماتنا الرئيسية في هذه المرحلة الجديدة هي تعبئة جميع القوى لاحراز النصر في حرب المقاومة .

ان تطوير حرب المقاومة التي قد بدأت ، الى حرب شاملة تشترك فيها الأمة جمعاء هو مفتاح النصر في حرب المقاومة ، اذ أن هذه الحرب الشاملة التي تخوضها الأمة بأسرها هي وحدها التي سوف تمكننا من احراز النصر النهائي .

وبما أنه ما زالت هناك نقاط ضعف خطيرة في حرب المقاومة الحالية ، يمكن أن تظهر ظروف غير مؤاتية في سير الحرب اللاحق كنكسات وتراجعات وانقسامات داخلية وخيانات ومهادنات موقتة وجزئية . لذلك يجب علينا أن ندرك أن حرب المقاومة ستكون حربا طويلة ومريرة . غير أننا مقتنعون بأن حرب المقاومة التي شنناها سوف تستمر في تقدمها وتطورها بفضل جهود حزبنا وشعبنا كله مذللة جميع العراقيل في طريقها .

ان تجربة الأشهر العشرة من حرب المقاومة قد أثبتت كذلك صحة وجهات النظر المذكورة ، كما أن حرب المقاومة سوف تثبتها باستمرار في مجراها المقبل .

٨ — ان الميول المثالية والميكانيكية بشأن قضية الحرب هي ، من حيث

نظرية المعرفة ، مصدر جميع وجهات النظر الخاطئة حول الحرب . ان أصحابها ينظرون الى القضية نظرة ذاتية ووحيدة الجانب . فهم يثرثرون عنها بناء على تخيلاتهم البحتة دون أن يستندوا الى أى أساس ؛ أو هم يتعلقون بجانب واحد من جوانب القضية وبمظهر واحد من مظاهرها العارضة ، فيغالون فيهما بناء على تخيلاتهم كذلك بحيث يعتبرونهما الكل . لكن وجهات النظر الخاطئة عند الناس تنقسم الى نوعين : أولا ، وجهات نظر خاطئة خطأ جذريا ذا صفة دائمة ، وهذه صعبة التقويم . وثانيا ، وجهات نظر خاطئة خطأ عرضيا ذا صفة وقتية ، وهذه سهلة التقويم . وطالما كان كل من النوعين خاطئا فان تقويمه ضرورى . ولذلك لا يمكن التوصل الى استنتاجات صحيحة حول قضية الحرب الا بالنضال ضد الميول المثالية والميكانيكية حول قضية الحرب وبتبنى النظرة الموضوعية والشاملة فى دراسة الحرب .

مبررات القضية

٩ ـ لماذا ستكون حرب المقاومة ضد اليابان حربا طويلة الأمد ؟ ولماذا سيؤول النصر النهائى الى الصين ؟ وما هى مبررات ذلك ؟

ان الحرب الصينية اليابانية ليست كغيرها من الحروب ، وانما هى حرب حياة أو موت تستعر بين الصين شبه المستعمرة وشبه الاقطاعية وبين الامبريالية اليابانية فى الثلاثينيات من القرن العشرين . وعلى هذه الحقيقة تقوم جميع مبررات القضية . واذا ما أخذنا كلا من الطرفين المتحاربين على حدة وجدنا له خصائص مناقضة لخصائص الآخر وهى كما يلى .

١٠ ـ الجانب اليابانى : أولا ، انها دولة امبريالية قوية تأتى قوتها العسكرية والاقتصادية والتنظيمية السياسية فى المرتبة الأولى فى الشرق ، كما

أنها تعد احدى الدول الامبريالية المشهورة الخمس أو الست فى العالم . وهذه هى العوامل الأساسية لهذه الحرب اليابانية العدوانية ، فان حتمية الحرب واستحالة نصر الصين العاجل يرجعان بالضبط الى أن اليابان دولة امبريالية تملك قوة جبارة فى المجالات العسكرية والاقتصادية والتنظيمية السياسية . ثانيا ، لكن الطابع الامبريالى للاقتصاد الاجتماعى اليابانى قد دمغ حرب اليابان بطابع حرب امبريالية، وهى حرب رجعية همجية . وهذه الامبريالية اليابانية التى تعيش فى الثلاثينيات من القرن العشرين ، لم تضطر بسبب تناقضاتها الداخلية والخارجية الى القيام بحرب مغامرة لم يسبق لاتساعها مثيل فحسب ، بل صارت على شفا الانهيار النهائى . لم تعد اليابان من حيث التطور الاجتماعى بلدا ناهضا مزدهرا ، ولن تصل بها الحرب الى الازدهار الذى تصبو اليه الطبقة الحاكمة اليابانية ، بل ستقودها الى النقيض من ذلك — هلاك الامبريالية اليابانية . وهذا ما يقصد بالطبيعة الرجعية لحرب اليابان . ثم ان هذه الطبيعة الرجعية ، باضافتها الى خاصية أخرى هى أن اليابان دولة امبريالية ذات طبيعة عسكرية واقطاعية ، تحدد الهمجية النادرة لحرب اليابان ، الأمر الذى سيثير الى أقصى حد العداء بين الطبقات فى داخل اليابان ، وبين الأمة اليابانية والأمة الصينية ، وبين اليابان وأكثرية البلدان فى العالم . وان الرجعية والهمجية التى تتسم بها حرب اليابان هى السبب الرئيسى لهزيمتها الحتمية . ثالثا ، لا يقف الأمر عند هذا الحد ، فعلى الرغم من أن اليابان تقوم بالحرب على أساس قوتها العسكرية والاقتصادية والتنظيمية السياسية الجبارة ، لكنها فى نفس الوقت تقوم بها أيضا على أساس امكانياتها الموروثة الناقصة ، ان قوتها العسكرية والاقتصادية والتنظيمية السياسية ليست كافية من ناحية الكمية وان كانت جبارة . فاليابان بلد صغير نسبيا ومفتقر الى الموارد البشرية والعسكرية والمالية والمادية ، فلا تطيق الحرب الطويلة الأمد . ان الحكام اليابانيين يأملون تذليل هذه المصاعب

بواسطة الحرب ، بيد أنهم سيحصلون على ما ينافى رغباتهم . هذا يعنى أن اليابان شنت الحرب من أجل التغلب على هذه المصاعب ، ولكن الحرب فى نهاية الأمر ستزيد منها ، وتستنفد حتى ما كانت تملكه اليابان . رابعا وأخيرا ، على الرغم من أن اليابان بوسعها أن تتلقى التأييد من قبل البلدان الفاشية ، الا أنها فى نفس الوقت لا تجد مفرا من أن تصطدم بقوة عالمية مناهضة لها ومتفوقة على تلك القوة العالمية المؤيدة لها . وهذه القوة المناهضة ستنمو بصورة تدريجية بحيث لا توازن فى آخر الأمر تلك القوة المؤيدة فحسب ، بل ستمارس الضغط على اليابان نفسها . هنا يسرى قانون ناجم عن طبيعة حرب اليابان وهو : الطغيان قلما يحظى بتأييد . وخلاصة القول أن ميزة اليابان هى قوتها الحربية الجبارة ، ونقاط ضعفها هى طبيعة حربها الرجعية والهمجية ، ونقصها فى الموارد البشرية والمادية وافتقارها للتأييد العالمى . هذه هى خصائص اليابان .

١١ — الجانب الصينى : أولا ، اننا بلد شبه مستعمر وشبه اقطاعى . وجميع الحركات الثورية أو الاصلاحية التى كانت تستهدف تحرير الصين من حالتها كبلد شبه مستعمر وشبه اقطاعى ، من حرب الأفيون (٩) وحركة مملكة التايبينغ السماوية (١٠) والحركة الاصلاحية عام ١٨٩٨ (١١) وثورة ١٩١١ (١٢) حتى الحملة الشمالية (١٣) ، قد لاقت نكسات خطيرة ، فبقيت الصين بلدا شبه مستعمر وشبه اقطاعى . ان بلدنا ما زال ضعيفا ، ومتخلفا بصورة ظاهرة عن العدو فى القوة العسكرية والاقتصادية والتنظيمية السياسية . وعلى ذلك يقوم أساس آخر لحتمية الحرب واستحالة نصر الصين العاجل فيها . ثانيا ، لكن حركات التحرر الصينية التى لم تكف عن التطور طوال الأعوام المئة الأخيرة أصبحت اليوم تختلف عما كانت عليه فى أية فترة تاريخية سابقة . ان حركات التحرر مع أنها منيت بالنكسات الخطيرة من جراء القوى المناهضة لها فى داخل البلاد وخارجها ، الا أنها قد صقلت الشعب الصينى . وان

الصين اليوم وان لم تبلغ مبلغ قوة اليابان فى الناحية العسكرية والاقتصادية والسياسية والثقافية ، لكنها قد حصلت على عوامل أكثر تقدمية بالقياس الى ما كانت عليه فى أية فترة تاريخية سابقة ، فالحزب الشيوعى الصينى والجيش الذى يقوده هما يمثلان هذه العوامل التقدمية . وعلى أساس هذا التقدم بالضبط صار من الممكن أن تكون حرب التحرر الصينية الحالية حربا طويلة الأمد وتنال النصر النهائى . وعلى النقيض من الامبريالية اليابانية التى تسير فى طريق الانحطاط نجد أن الصين بلد ناهض كالشمس المشرقة . وحرب الصين هى حرب تقدمية ، وتقدميتها هذه تأتى بعدالتها التى من شأنها أن تستنهض الأمة بأسرها حتى تتحد وتتماسك ، وأن تستثير عطف شعب الدولة المعادية وأن تكسب التأييد من قبل معظم بلدان العالم . ثالثا ، وفوق ذلك فان الصين بلد كبير جدا ، أرضها شاسعة ومواردها غنية وسكانها كثيرون وجيشها كبير ، فهى قادرة على تحمل حرب طويلة الأمد ، وهى فى هذا المجال فى وضع يخالف أيضا وضع اليابان . رابعا وأخيرا ، ترتب على تقدمية حرب الصين وعدالتها أن تحظى الصين بالتأييد العالمى الواسع ، فالصين مرة أخرى على طرفى نقيض مع اليابان التى لا تلقى بطغيانها الا تأييدا هزيلا . وخلاصة القول أن نقطة ضعف الصين هى ضعفها العسكرى ، ومزاياها هى أن حربها تقدمية وعادلة من حيث الطبيعة ، وأنها بلد كبير يحظى بالتأييد العالمى الواسع . وكل هذه هى خصائص الصين .

١٢ — وهكذا يتبين أن اليابان تتمتع بالقوة الجبارة فى المجالات العسكرية والاقتصادية والتنظيمية السياسية ، ولكن حربها حرب رجعية وهمجية ، وعلاوة على ذلك لا تكفيها الموارد البشرية والمادية التى تملكها ، ويواجهها وضع عالمى لا يلائمها . وعلى العكس من ذلك ، فان الصين وان كانت قوتها العسكرية والاقتصادية والتنظيمية السياسية ضعيفة نسبيا ، الا أنها تعيش الآن فى مرحلة تقدم ، وأن حربها تقدمية وعادلة ، وفضلا عن ذلك فانها تقدر بكونها

بلدا شاسع الأرجاء على أن تتحمل حربا طويلة الأمد ، كما أن معظم بلدان العالم سوف تمد اليها يد المساعدة . كل هذه هى الخصائص الأساسية المتناقضة فى الحرب الصينية اليابانية والتى حددت وتحدد كل المبادىء السياسية وكل الاستراتيجيات والتكتيكات العسكرية لكلا الطرفين ، كما حددت وتحدد أن تكون الحرب طويلة الأمد وأن يعود النصر النهائى فيها للصين لا لليابان . ان الحرب فى حد ذاتها سباق بين هذه الخصائص ، كما أن كلا من هذه الخصائص بالذات سوف تتغير فى مجرى الحرب على حسب طبيعتها الخاصة ، وكل ما سوف يحصل انما هو ناجم عن هذه الخصائص وتغيراتها . هذه الخصائص قائمة موضوعيا وليست شيئا يختلق لخداع الناس ؛ وهى تشكل جميع عناصر الحرب الأساسية وليست أجزاء ناقصة ؛ وهى تلازم جميع القضايا الكبرى والصغرى التى تطرح أمام الجانبين وجميع مراحل الحرب ، وليست بالأشياء التى ليس لها شأن يذكر . واذا ما نظر المرء فى الحرب الصينية اليابانية ناسيا هذه الخصائص ، وقع حتما فى الخطأ ، وبالرغم من أن بعض آرائه قد تبدو صحيحة ، ويقبلها بعض الناس فى فترة من الزمن ، الا أن تطور الحرب اللاحق سوف يدل حتما على أنها خاطئة . ووفقا لهذه الخصائص سنوضح القضايا التى نريد معالجتها .

دحض نظرية سقوط الصين

١٣ ــ ان دعاة نظرية سقوط الصين لا يعتبرون سوى عامل واحد هو أن العدو قوى ونحن ضعفاء ، فقد كانوا يقولون « ان المقاومة ستؤدى حتما الى سقوط الصين » ، وأصبحوا الآن يقولون « اذا استمرت المقاومة سقطت الصين حتما » . واذا اكتفينا فى الرد على ذلك بالقول بأن اليابان مع قوتها بلد

صغير وأن الصين مع ضعفها بلد كبير ، لا يمكن أن نقنعهم ، فهم يستطيعون أن يستشهدوا بأمثلة تاريخية ، كاطاحة أسرة يوان بأسرة سونغ واطاحة أسرة تشينغ بأسرة مينغ ، ليبرهنوا على أن بلدا قويا رغم صغره يستطيع أن يقهر بلدا ضعيفا ولكنه كبير ، بل على أن بلدا متخلفا يستطيع أن يقهر بلدا متقدما . واذا ما قلنا لهم ان هذه الأحداث كلها وقعت فى العصور السالفة فهى أضعف من أن تكون براهين ، فسوف يلجأون الى حقيقة أن بريطانيا فتحت الهند ، لكى يبرهنوا على أن بلدا رأسماليا صغيرا ولكن قويا يستطيع أن يقهر بلدا كبيرا ولكن متخلفا ضعيفا . وعلى ذلك يجب أن نقدم براهين أخرى نسكت بها دعاة نظرية سقوط الصين جميعا ونقنعهم كل الاقناع ، وأن نزود جميع المشتغلين بالدعاية بحجج كافية ليقنعوا أولئك الذين ما زالوا غير فاهمين أو مترددين ، ويثبتوا ايمانهم بحرب المقاومة .

١٤ — اذن ما هى البراهين التى يجب أن نقدمها ؟ انها تقوم فى خاصية عصرنا الحاضر . وهذه الخاصية تنعكس ، بصورة ملموسة ، فى رجعية اليابان والتأييد الهزيل الذى يتاح لها من ناحية ، وفى تقدمية الصين والتأييد الواسع الذى تتمتع به من ناحية أخرى .

١٥ — ان حربنا اليوم ليست كغيرها من الحروب ، انما هى حرب تجرى بين الصين واليابان فى الثلاثينيات من القرن العشرين . وعدونا اليابان هو ، أولا وقبل كل شيء ، بلد امبريالى محتضر يعيش فى مرحلة رجعية ، وهى لا تختلف فقط عن بريطانيا زمن اخضاعها للهند ، حيث كانت الرأسمالية البريطانية لا تزال ناهضة ، بل تختلف عما كانت عليه هى نفسها زمن الحرب العالمية الأولى التى اندلعت نيرانها قبل عشرين سنة . وان الحرب الجارية نشبت عشية الانهيار الواسع النطاق للامبريالية العالمية ، وفى مقدمتها الدول الفاشية ، ولهذا السبب بالضبط شن عدونا هذه الحرب المغامرة التى تتصف

بصفة الصراع اليائس الأخير . ولذا لن تكون نتيجة الحرب دمار الصين بل ستكون دمار الطغمة الحاكمة للامبريالية اليابانية ، وهى نهاية حتمية لن تفلت تلك الطغمة منها . وبالاضافة الى ذلك ، فقد شنت اليابان هذه الحرب فى الوقت الذى عانت فيه جميع البلدان فى العالم من الحرب أو توشك أن تعانيها ، فبعضها يقاتل الآن ضد العدوان الهمجى وبعضها الآخر يعد العدة لذلك ، أضف الى ذلك أن الصين ترتبط مصالحها بمصالح معظم بلدان العالم وشعوبه ، وهذه هى العلة فى أن اليابان أثارت وستثير المزيد من موجة المعارضة من قبل معظم بلدان العالم وشعوبه .

١٦ — وماذا بشأن الصين ؟ ليس بالامكان مقارنة الصين اليوم بالصين فى أى فترة تاريخية مضت . ان الصين تعتبر اليوم فى مصاف الدول الضعيفة ، لأن المجتمع شبه المستعمر وشبه الاقطاعى قد أصبح سمة لها . ولكنها فى الوقت نفسه تعيش فى عصر تقدمى من التاريخ ، وهنا يستقيم برهاننا الرئيسى على أنها تملك قدرة كافية على هزيمة اليابان . ونحن اذ نقول ان حرب المقاومة ضد اليابان هى حرب تقدمية ، لا نقصد بكلمة التقدمية معناها العادى أو العام ، ولا ذلك النوع من التقدمية الذى تمتاز به حرب الحبشة ضد ايطاليا أو انتفاضة مملكة التايبينغ السماوية أو ثورة ١٩١١ ، وانما نقصد بها تقدمية الصين اليوم . اذن ، فما هذه التقدمية ؟ انها تتجلى فى أن الصين لم تعد الآن بلدا اقطاعيا بكل معنى الكلمة ، فقد ظهرت فيها رأسمالية ، وبرجوازية ، وبروليتاريا ، وجماهير شعبية غفيرة واعية أو آخذة فى سبيل الوعى ، وظهر فيها الى حيز الوجود حزب شيوعى وجيش تقدمى من الناحية السياسية هو الجيش الأحمر الصينى الذى يقوده الحزب الشيوعى ، وتوافرت لديها تقاليد وتجارب خلال عشرات السنين من الثورات ، وعلى الأخص التجارب التى تم الحصول عليها فى غضون السبع عشرة سنة الماضية منذ تأسيس الحزب الشيوعى الصينى .

وهذه للتجارب قد ربت الشعب الصينى والأحزاب السياسية الصينية ، ثم أصبحت اليوم ، على وجه التحديد ، أساسا حقا تقوم عليه الوحدة فى سبيل مقاومة اليابان . فاذا قيل ان نصر ١٩١٧ فى روسيا ما كان يمكن تحقيقه لولا تجربة ١٩٠٥ ، يصح أن نقول : بدون التجارب التى حصلنا عليها خلال السبع عشرة سنة الماضية فسوف يستحيل النصر فى حرب المقاومة ضد اليابان . تلك هى ظروفنا للداخلية .

وبفضل الظروف الدولية لم تعد الصين معزولة فى هذه الحرب ، وهذا أيضا وضع لم يعرفه التاريخ من قبل . وفى الماضى كانت الصين وكذلك الهند تقومان بالحروب فى عزلة . ولم نصادف ، الا فى الوقت الراهن ، حركات شعبية قامت أو أخذت فى طريق القيام فى أرجاء العالم ولم يسبق لاتساعها وعمقها مثيل وهى تقدم مساعدتها الى الصين . ولقد حدث أن حظيت الثورة الروسية عام ١٩١٧ بمساعدة عالمية فتمكن بها العمال والفلاحون الروس من تحقيق النصر ، غير أن تلك المساعدة العالمية لم تبلغ من السعة والعمق ما بلغته المساعدة الممنوحة للصين اليوم . ان الحركة الشعبية العالمية تتطور اليوم فى اتساع وعمق لم يسبق لهما نظير . ووجود الاتحاد السوفياتى يشكل ، بصورة خاصة ، عاملا حيويا فى السياسة الدولية الحالية ، فمن المؤكد أن الاتحاد السوفياتى سوف يساند الصين بحماس بالغ ، وهذه ظاهرة لم يكن لها وجود على الاطلاق قبل عشرين سنة . وكل هذه العوامل خلقت وتخلق ظروفا هامة لا تستغنى عنها الصين فى سبيل كسب النصر النهائى . وبالرغم من أن المساعدات الضخمة والمباشرة لم تصلنا بعد فى الوقت الحاضر ، وينتظر أن تصل فى المستقبل ، الا أن الصين ، بحكم تقدميتها وكبرها ، لقادرة على اطالة الحرب وتنشيط هذه المساعدة العالمية وانتظار وصولها .

١٧ ــ ثم أضف الى ما تقدم أن اليابان بلد صغير ضيق الرقعة ، فقير

الموارد ، قليل السكان والجنود ، بينما الصين بلد كبير شاسع الرقعة ، غنى بالموارد ، كثير السكان والجنود ، فنرى الى جانب نسبة القوى بين الطرفين وجها آخر هو صغر اليابان ورجعيتها والتأييد الهزيل الذى يتاح لها من ناحية ، وكبر الصين وتقدميتها والتأييد الواسع الذى تتمتع به من ناحية أخرى . وهذا هو البرهان على أن الصين لن تسقط فى يد العدو . ورغم أن الوجه الأول وهو نسبة القوى بين العدو وبيننا قد قرر أن اليابان يمكن أن تطغى فى أرض الصين فى فترة معينة والى حدود معينة ، وأن الصين سوف تجتاز حتما فترة عصيبة ، وأن حرب المقاومة ضد اليابان ستكون حربا طويلة لا حربا سريعة ، ولكن الوجه الثانى يقرر بدوره أن اليابان لن يمكنها البغى والطغيان الى ما لا نهاية ، بل ستبوء حتما بالفشل النهائى ، ويقرر كذلك أن الصين لن تسقط فى يد العدو ، بل ستكسب النصر النهائى بصورة أكيدة .

١٨ ـ لماذا سقطت الحبشة ؟ أولا ، لم تكن الحبشة بلدا ضعيفا وحسب ، بل هى بلد صغير أيضا . ثانيا ، لم تكن هى على درجة التقدمية التى بلغتها الصين ، بل كانت بلدا قديما يسير فى طريقه من نظام العبودية الى نظام القنانة ، بلدا لا توجد فيه رأسمالية ، ولا حزب سياسى برجوازى ، ناهيك عن حزب شيوعى ، ولا يوجد فيه جيش كالجيش الصينى وخاصة كالجيش الثامن . ثالثا ، لم تستطع أن تتلقى المساعدة العالمية ، واضطرت لخوض الحرب بمفردها . رابعا ، وهذا أهم الأسباب وهو أن القيادة ارتكبت الأخطاء فى حرب المقاومة ضد ايطاليا . لهذه الأسباب سقطت الحبشة . ولكن مع ذلك ، ما زالت تجرى فيها حرب عصابات على نطاق واسع جدا ، ويمكنها ، اذا ثابرت على هذه الحرب ، أن تسترد الوطن الأم السليب حين تتبدل الأوضاع العالمية فى المستقبل .

١٩ ـ أما اذا احتج دعاة نظرية سقوط الصين بما منيت به حركات

للتحرر فى الصين الحديثة من هزائم لكى يثبتوا صحة قولهم «ان المقاومة ستؤدى حتما الى سقوط الصين » أو « اذا استمرت المقاومة سقطت الصين حتما » ، فنحن نرد عليهم مرة أخرى بأن العصر قد تغير . فان الصين نفسها والوضع الداخلى فى اليابان والظروف العالمية ، كلها قد أصبحت مختلفة عما كانت عليه فى الماضى . لقد أصبحت اليابان أقوى مما مضى ، فى حين أن الصين لم تتحول بعد عن وضعية شبه مستعمرة وشبه اقطاعية ، ولا يزال بها ضعف شديد ، وهذه حالة خطيرة . ثم ان حكام اليابان يستطيعون ، بصورة موقتة ، أن يسيطروا على شعبها ، وأن يستغلوا التناقضات الدولية كوسيلة من وسائل غزو الصين ، وهذه حقائق واقعية . بيد أن هذه الأشياء ستتبدل لا محالة فى مجرى الحرب الطويل الى عكس ما هى عليه اليوم . صحيح ، ان مثل هذه التبدلات لم تصبح بعد حقائق قائمة ، ولكن سوف يتحقق ذلك فى المستقبل بكل تأكيد . أما دعاة نظرية سقوط الصين فقد غضوا نظرهم عن هذه النقطة . ماذا بشأن الصين نفسها؟ لقد أصبح فيها الآن شعب جديد وحزب جديد وجيش جديد وسياسة جديدة خاصة بمقاومة اليابان ، وهذا وضع مختلف اختلافا كبيرا عما كانت الصين عليه قبل بضعة عشر عاما ، وبالاضافة الى ذلك سوف تتطور هذه الأشياء الى الأمام حتما . وبالرغم من أن حركات التحرر فى تاريخ الصين قد عانت النكسة تلو الأخرى ، مما أعجز الصين عن توفير قدر أكبر من القوة لتسخرها اليوم فى حرب المقاومة ضد اليابان — وذلك درس تاريخى مر جدا ينبغى الأخذ به كيلا يسمح فى المستقبل بأن يدمر الصينيون بأنفسهم أيا من قواهم الثورية — الا أنه اذا اعتمدنا على الأساس القائم اليوم وبذلنا الى جانبه مجهودات جبارة ، استطعنا بالتأكيد أن نتقدم الى الأمام بصورة تدريجية وأن نعزز قوتنا فى مقاومة اليابان . ان الجبهة الوطنية المتحدة العظيمة ضد اليابان هى الاتجاه العام الذى يجب أن نسخر فيه هذه المجهودات . وفيما يتعلق

بالمساعدة العالمية ، فعلى الرغم من أننا لم نتلق حتى اليوم المعونة المباشرة والضخمة ، الا أن مثل هذه المعونة تتخمر خميرتها الآن ، لأن الوضع الدولى يختلف أساسا عما كان عليه من ذى قبل . ان الهزائم لحركات التحرر التي لا حصر لها فى الصين الحديثة تعود كلها الى أسباب موضوعية وذاتية خاصة ، فلا يجوز أن ننظر اليها نظرتنا الى حربنا الحالية ، فرغم أنه يواجهنا اليوم ظروف صعبة عديدة جعلت حرب المقاومة ضد اليابان حربا شاقة ، ومنها مثلا أن العدو قوى ونحن ضعفاء ، وأن العدو ليس الا فى بداية معاناته المصاعب ، فى حين لا يبرح تقدمنا بعيدا عن المطلوب ، وهلم جرا ، الا أننا نجد جملة من الظروف الكفيلة بنصرنا على العدو ، ويكفى اذن أن نبذل الجهود حتى نتمكن من تذليل الصعاب واحراز النصر . ومثل هذه الظروف المؤاتية ما كانت لتوجد فى أى مرحلة تاريخية سابقة ، وهذا هو السبب فى أن حرب المقاومة ضد لليابان لن تنتهى الى الفشل أبدا كما فشلت حركات التحرر فى تاريخنا .

المهادنة أم المقاومة ؟ الفساد أم التقدم ؟

٢٠ – لقد أوضحنا أعلاه أن نظرية سقوط الصين لا أساس لها من الصحة . بيد أن كثيرين ممن ليسوا من دعاة نظرية سقوط الصين ، بل هم مناضلون وطنيون ، يقلقهم الوضع الراهن قلقا شديدا . ذلك لأن أمامهم مسألتين لم تحلا بعد : الخوف من المهادنة مع اليابان ، والشك فى امكانية تقدم الصين سياسيا . وهاتان المسألتان المزعجتان تناقشان فى أوساط واسعة ، ولكن هذه الأوساط لا تعرف علام تستند لحلهما . فلنبحثهما الآن اذن .

٢١ – ان لروح المهادنة جذورها الاجتماعية كما قلنا سابقا ، وطالما بقيت هذه الجذور فان هذه الروح ستظهر لا محالة . ولكن مهما يكن

من أمر ، لا يمكن لمحاولات المهادنة أن تتكلل بالنجاح . ومن أجل اثبات هذا ، لا يخرج الأمر عن التفتيش على البراهين فى نواح ثلاث : اليابان والصين والوضع الدولى . لنأخذ الجانب اليابانى أولا . لقد وضعنا فى تقديرنا فى مطلع حرب المقاومة أنه ستأتى ساعة ينشأ فيها جو من المهادنة ، يعنى أن العدو ربما يحاول ، حالما يحتل شمالى الصين وجيانغسو وتشجيانغ ، أن يحث الصين على الاستسلام . وفعلا حدث ما توقعناه . بيد أن هذه الأزمة انقضت سريعا ، ومن أسباب ذلك أن العدو كان يسير على سياسة همجية فى كل مكان ويعمد الى النهب المكشوف . ولو استسلمت الصين لأصبح كل صينى عبدا لا وطن له . وان سياسة النهب هذه أى سياسة استعباد الصين يطبقها العدو فى ناحيتين مادية ومعنوية ، على الصينيين بجميع فئاتهم الدنيا والعليا — وطبيعى أن يعامل العدو الفئات العليا فى شىء من اللطف والاعتدال ، ولكن هذا فارق فى الدرجة فحسب لا فى المبدأ . وعلى العموم ، فان العدو ينقل الى الصين الداخلية تلك التدابير القديمة التى طبقها فى المقاطعات الشمالية الشرقية الثلاث . ففى الناحية المادية ينهب من عامة الناس أقواتهم وملابسهم ، مما يترك جماهير الشعب الغفيرة تئن تحت وطأة الجوع والبرد ، كما يستولى على وسائل الانتاج ، مدمرا ومخضعا الصناعة الوطنية الصينية . أما فى الناحية المعنوية ، فهو يحطم الوعى القومى للشعب الصينى . ولا يسمح للصينيين الا أن يكونوا رعايا أذلاء تحت راية « الشمس » ، يعيشون مثل البهائم ، ويحرم عليهم اظهار أدنى قدر من الروح الصينية . وسوف ينقل العدو هذه السياسة الهمجية الى داخل البلاد أعمق فأعمق . هذا العدو جشع ولن يكف عن الحرب . وقد ظلت الوزارة اليابانية تنفذ بكل حزم حتى الآن تلك السياسة التى أعلنتها فى بلاغها المؤرخ بـ ١٦ يناير (كانون الثانى) ١٩٣٨ (١٤) ، بل لم يبق لها الا أن تواصل تنفيذها ، الأمر الذى أثار حنق الصينيين بمختلف فئاتهم . وتصرف

العدو هذا ناتج عن طبيعة حربه الرجعية والهمجية ، واذ « لا مفر من الكارثة » ، وقف الشعب الصيني من عدوه موقف العداء المطلق . ونأخذ فى الاعتبار أن العدو سيلجأ من جديد فى ظروف أخرى الى أسلوب حث الصين على الاستسلام ، وعندئذ سيعود بعض دعاة نظرية سقوط الصين يدب دبيبا ، ولن يستبعد أن يتآمروا مع بعض العناصر الأجنبية (التى توجد فى كل من بريطانيا وأمريكا وفرنسا وخاصة فى الفئات العليا فى بريطانيا) كشركاء فى الجريمة . غير أن الاتجاه العام للأحداث لن يسمح بالاستسلام ، لأن عناد اليابان على مواصلة الحرب والهمجية النادرة لحربها يشكلان أحد الأسباب فى استحالة الاستسلام .

٢٢ — ولنأخذ الجانب الصينى ثانيا ، ان ثلاثة عوامل تمكن الصين من أن تواصل حرب المقاومة مواصلة حازمة . أولها الحزب الشيوعى ، وهو القوة التى يعتمد عليها فى قيادة الشعب لمقاومة اليابان . ثانيها الكومينتانغ ، وبسبب ارتمائه فى أحضان بريطانيا والولايات المتحدة لن يستسلم لليابان ما لم تسمح له هاتان الدولتان بذلك . ثالثها الأحزاب والجماعات السياسية الأخرى ، ومعظمها تعارض المهادنة وتؤيد المقاومة . وينبغى أن تتحد هذه العوامل الثلاثة ، فمن يلجأ الى المهادنة ، فقد التقى مع خونة الأمة ، ويحق لكل مواطن الاقتصاص منه . ليس لجميع الذين لا يريدون أن يكونوا خونة للأمة من خيار سوى الاتحاد فيما بينهم لمواصلة المقاومة حتى النهاية ، وهكذا ستكون المهادنة بالفعل صعبة التحقيق .

٢٣ — ثم لنأخذ الوضع الدولى : باستثناء حلفاء اليابان وبعض عناصر الفئات العليا فى البلدان الرأسمالية ، فان العالم بأسره يؤيد الصين فى مقاومة اليابان لا فى المهادنة معها . وان هذا العامل ليقوى آمال الصين . واليوم يأمل شعبنا بأسره أن تزيد القوى العالمية بصورة تدريجية مساعدتها للصين ، وهذا الأمل ليس أملا لا أساس له ، وخاصة أن وجود الاتحاد السوفياتى يشجع

الصين على المقاومة . لقد كان الاتحاد السوفياتي الاشتراكي الذي صار أقوى من أي وقت مضى ، يشارك الصين دائما في السراء والضراء . وهو على النقيض تماما من أفراد الفئات العليا في جميع البلدان الرأسمالية الذين لا يسعون الا وراء مآربهم ، يعتبر من واجبه أن يمد يد المساعدة الى الأمم الصغيرة والضعيفة والى الحروب الثورية . والسبب في أن حرب المقاومة الصينية ليست تدور في عزلة ، يعود الى أنها تحصل على المساعدة العالمية عامة ، والى أنها تحصل بشكل خاص على العون السوفياتي . ان الصين والاتحاد السوفياتي متجاورتان جغرافيا ، وهذا ما يزيد من خطورة أزمة اليابان وييسر للصين خوض حرب المقاومة . أما التقارب الجغرافي بين الصين واليابان فهو يزيد من مصاعبنا في حرب المقاومة ، لكن التقارب الجغرافي بين الصين والاتحاد السوفياتي يشكل من جهة أخرى عاملا مؤاتيا لحرب المقاومة .

٢٤ ـ وهكذا يمكننا أن نخرج بالنتيجة التالية : ان خطر المهادنة جاثم ، لكن يمكن التغلب عليه . ذلك لأن سياسة العدو ، حتى ولو تعدلت الى درجة معينة ، لا يمكن أن تتغير جذريا . ومع أن للمهادنة جذورا اجتماعية في الصين نفسها ، الا أن معارضيها يشكلون الغالبية العظمى . أما القوى العالمية فرغم أن قسما منها مع المهادنة ، الا أن القوى الرئيسية منها تؤيد المقاومة . واذا ما اجتمعت هذه العوامل الثلاثة فسوف نستطيع أن نبعد خطر المهادنة ونثابر على حرب المقاومة حتى النهاية .

٢٥ ـ ولنرد الآن على السؤال الثاني . ان تحسن وضع البلاد السياسي أمر لا ينفصل عن المثابرة على حرب المقاومة . اذ بقدر ما يتحسن الوضع السياسي تقوى المثابرة على حرب المقاومة ، وكلما قويت المثابرة على حرب المقاومة تحسن الوضع السياسي . لكن هذا التحسن يتوقف بصورة أساسية على المثابرة على حرب المقاومة. ان في الكومينتانغ عيوبا خطيرة في مختلف المجالات ،

وتراكم مثل هذه العوامل المؤسفة عبر السنين يهم جمهور المناضلين الوطنيين كثيرا ويقلقهم شديدا . ولكن ليس هناك ما يدعو للتشاؤم ، ما دامت تجارب حرب المقاومة قد أثبتت أن الشعب الصينى قد استطاع أن يحقق خلال الأشهر العشرة الأخيرة من التقدم ما حققه فى الماضى خلال سنوات عديدة . وعلى الرغم من أن آثار الفساد المتراكمة عبر سنوات طويلة قد عاقت ، الى درجة خطيرة ، نمو القوى الشعبية المقاومة ضد اليابان ، وحدت من مدى انتصاراتنا العسكرية ، وجرت علينا خسائر فى الحرب ، الا أن الوضع العام فى الصين واليابان وفى العالم لن يسمح ببقاء الشعب الصينى على حاله دون أن يتقدم . ولكن هذا التقدم سوف يكون بطيئا من جراء الفساد الذى يعيق طريقه . وان التقدم والبطء فى التقدم يشكلان خاصيتين للوضع الراهن ، والخاصية الأخيرة أبعد من أن تكون مطابقة لمتطلبات الحرب الملحة ، وهذا يقلق المناضلين الوطنيين قلقا شديدا . بيد أننا نخوض غمار حرب ثورية ، والحرب الثورية هى ترياق يدفع سموم العدو ، وفى الوقت ذاته يطهرنا من الأقذار والأوساخ . وما من حرب ثورية عادلة الا وتكمن فيها قوة جبارة تستطيع أن تعيد تكوين أشياء كثيرة أو تمهد الطريق لاعادة تكوينها . وعلى ذلك فان الحرب الصينية اليابانية ستعيد تكوين كل من الصين واليابان ، واذا ثابرت الصين على حرب، المقاومة وتمسكت بالجبهة المتحدة ، فمن المؤكد أن الحرب ستحول اليابان القديمة الى يابان جديدة ، والصين القديمة الى صين جديدة ، أن الناس والأشياء فى كل من البلدين سيصهرون من جديد خلال هذه الحرب وبعدها . وهكذا يصح أن ننظر الى حرب المقاومة مقرونة ببناء الوطن . وحين نقول ان اليابان هى الأخرى يمكن اعادة تكوينها ، نعنى أن الحرب العدوانية التى شنها حكام اليابان ستنتهى بالهزيمة التى من المحتمل أن تؤدى الى ثورة الشعب اليابانى . ويوم انتصار ثورة للشعب اليابانى سوف يكون أوان اعادة

تكوين اليابان . وهذا وثيق الارتباط بحرب المقاومة الصينية ، ويجب علينا أن نضع فى الاعتبار هذا المستقبل .

نظرية سقوط الصين خاطئة
وكذلك نظرية النصر العاجل

٢٦ ــ لقد درسنا وقارنا بين ما يمتاز به عدونا وما نمتاز به نحن من خصائص أساسية متناقضة كقوته وضعفنا ، صغره وكبرنا ، رجعيته وتقدميتنا ، قلة التأييد له وكثرة التأييد لنا ، ودحضنا بذلك نظرية سقوط الصين ، كما أوضحنا السبب فى تعذر المهادنة وفى امكانية التقدم السياسى . ان دعاة نظرية سقوط الصين يقيمون للتناقض بين القوة والضعف وزنا فوق قدره ، ويبالغون فيه ويجعلون منه أساسا لحججهم فى كل القضية ، مهملين التناقضات الأخرى . ان تمسكهم بالتناقض بين القوة والضعف وحده يدل على أن نظرتهم كانت نظرة وحيدة الجانب ، كما أن مبالغتهم فى هذا الجانب الواحد من جوانب القضية بحيث ينظرون اليه باعتباره الكل ، تدل على أن نظرتهم كانت نظرة ذاتية . وهكذا يتبين ، اذا ما نظرنا الى القضية ككل ، أن حججهم عديمة الأساس وخاطئة . أما من لا يدعون الى نظرية سقوط الصين ولم يكونوا أسرى للتشاؤم دائما ، وانما تتملكهم الروح التشاؤمية بعض الوقت من جراء ما ينتابهم من الحيرة حيال مظهر قوة العدو وضعفنا فى وقت معين ومن بعض الأوجه وحيال حالة الفساد القائمة فى البلاد ، فيجب أن نبين لهم أن وجهة نظرهم هذه تنشأ كذلك عن النظرة الوحيدة الجانب والذاتية . ولكن تصحيحها سيكون سهلا عليهم نسبيا ، وسيفطنون اليها بمجرد الاشارة والتنبيه ، ذلك لأنهم مناضلون وطنيون وأخطاؤهم أخطاء عارضة .

٢٧ — ولكن أنصار نظرية النصر العاجل ليسوا على صواب أيضا . فهم اما أن يهملوا كليا التناقض بين القوة والضعف ، ولا يبقى فى أذهانهم سوى التناقضات الأخرى ، واما أن يبالغوا فى مزايا الصين بحيث يعطون صورة مشوهة عن بلادنا ، واما أن يأخذوا نسبة القوى فى مكان معين وزمن معين ليعبروا عن الوضع العام ، وينطبق على حالهم هذا القول المأثور « ورقة شجر تحجب العين عن رؤية جبال تايشان » ، ولكنهم مع ذلك يعتقدون أنهم على صواب . وباختصار ، ليست عندهم جرأة على الاعتراف بأن العدو قوى ونحن ضعفاء . بل كثيرا ما ينكرون هذا الواقع ، وبالتالى ينكرون أحد أوجه الحقيقة ، كما أنهم لا يجرؤون على الاعتراف بأن مزايانا محدودة ، فينكرون من الحقيقة وجها آخر . ومن ثم يرتكبون الأخطاء الكبيرة منها والصغيرة ، والسبب هنا يرجع أيضا الى نظرتهم الذاتية والوحيدة الجانب . ان هؤلاء الأصدقاء نيتهم حسنة وهم كذلك مناضلون وطنيون . « ما أعظم همة السادة » ، ولكن وجهة نظرهم خاطئة ، واذا ما عملنا بموجبها فسوف تؤدى بنا الى مأزق ، ذلك لأن تقديراتنا ان لم تطابق الواقع فلن تبلغ أعمالنا غرضها المحدد ، فاذا ما تصرفنا وفقا لها رغم ذلك ، ترتب على ذلك هزيمة الجيش وهلاك الأمة ، وأخيرا ننتهى الى نفس ما ينتهى اليه الانهزاميون . لذا فان نظرية النصر العاجل هذه يجب نبذها أيضا .

٢٨ — هل ننكر نحن خطر سقوط الصين ؟ كلا ، لسنا ننكر هذا الخطر . اننا نعترف بأن الصين أمام مصيرين محتملين : التحرر أو السقوط ، والآن يجرى بين هذين المصيرين صراع عنيف . ومهمتنا هى تحرير الصين والحيلولة دون سقوطها . والشرط فى تحقيق التحرير هو ، أساسا ، تقدم الصين ، أضف اليه مصاعب العدو والمساعدة العالمية . اننا بخلاف دعاة نظرية سقوط الصين ، نعالج المسألة بصورة موضوعية وبنظرة شاملة ونعترف بتواجد الاحتمالين :

سقوط الصين وتحررها ، ونؤكد أن احتمال التحرر مرجح ، ونشير بصورة خاصة الى الظروف التى لا بد منها لتحقيقه ، كما نبذل مساعينا من أجل خلق هذه الظروف . أما دعاة نظرية سقوط الصين فيعالجون المسألة بنظرة ذاتية وحيدة الجانب ويعترفون باحتمال سقوط الصين وحده ، وينكرون الاحتمال الآخر ، فضلا عن أن يشيروا الى الظروف اللازمة لتحررها ويسعوا الى خلق هذه الظروف . ونحن نعترف أيضا بوجود ميل الى المهادنة وظواهر فساد ، لكننا لاحظنا فى نفس الوقت ميولا وظواهر أخرى ، وأشرنا الى أن هذه الأخيرة سترجح كفتها على الأولى بصورة تدريجية ، وأنهما الآن تتصارعان بشدة وعنف . وأشرنا فوق ذلك الى الظروف اللازمة لتحقيق الميول والظواهر الأخيرة ، ونجهد فى التغلب على الميول الى المهادنة وازالة ظواهر الفساد . لذا لسنا بمتشائمين ، انما المتشائمون هم الذين بخلافنا .

٢٩ — ولسنا أيضا ممن لا يتمنون نصرا عاجلا . وما من أحد لا يود طرد « الشياطين » بين ليلة وضحاها . لكننا نقول ان النصر العاجل ، ما لم تهيأ له ظروف محددة ، لا يعدو أن يكون شيئا خياليا وليس بحقيقة واقعية ، بل هو مجرد وهم وبطلان . وهكذا قدرنا جميع الظروف المحيطة بالعدو وظروفنا الخاصة تقديرا موضوعيا وشاملا ، وأشرنا الى أن السبيل الوحيد الى النصر النهائى هو القيام بحرب طويلة الأمد من الناحية الاستراتيجية ، ورفضنا نظرية النصر العاجل التى لا أساس لها على الاطلاق . اننا ننادى بضرورة السعى لايجاد جميع الظروف التى لا غنى عنها لانتصارنا النهائى ، وكلما توفرت هذه الظروف أكثر وأسرع ، ازددنا ثقة فى النصر وعجلنا موعد هذا النصر . اننا نعتقد أنه يمكن بهذه الطريقة وحدها أن نقصر مدة الحرب ، ونبعد نظرية النصر العاجل التى هى مجرد هراء ووليدة رغبة فى الحصول على الأشياء بثمن بخس .

لماذا هي حرب طويلة الأمد ؟

٣٠ ــ ولنبحث الآن فى قضية الحرب الطويلة الأمد . ونتساءل « لماذا هى حرب طويلة الأمد ؟ » لا يمكن أن نهتدى الى جواب سليم على هذا السؤال الا اذا ألقينا أضواء على جميع العوامل الأساسية المتناقضة لدى العدو وأنفسنا . ومثال ذلك أنه اذا اكتفينا بمجرد القول بأن العدو دولة امبريالية قوية والصين بلد ضعيف شبه مستعمر وشبه اقطاعي ، فسنتعرض لخطر الانحدار الى نظرية سقوط الصين ، ذلك أن طول الحرب لا يمكن أن ينجم ، لا نظريا ولا عمليا ، عن هذا الظرف وحده وهو أن الضعيف يجابه القوى ، وكذلك لا ينجم عن هذا الحال وحده وهو أن أحد البلدين كبير والآخر صغير ، أو أن أحدهما تقدمى والآخر رجعى ، أو أن أحدهما يلقى تأييدا واسعا والآخر لا يلقاه . وكثيرا ما يحدث أن يبتلع الكبير الصغير ، أو بالعكس يبتلع الصغير الكبير ، وينطبق هذا الحال على الدول أو الأشياء فليس بنادر أن يبيد منها ما هو كبير ورجعى ما هو تقدمى ولكن ضعيف . وان كثرة التأييد أو قلته هى عامل هام ولكن ثانوى يتحدد مدى مفعوله بالعوامل الأساسية لدى كلا الجانبين . وعلى ذلك فان قولنا بأن حرب المقاومة ضد اليابان ستكون حربا طويلة الأمد ، هو نتيجة خرجنا بها من العلاقات المتبادلة بين جميع العوامل لدى كلا الجانبين . العدو قوى ونحن ضعفاء ، لذا يواجهنا خطر سقوط الوطن . ولكن للعدو فى الوقت نفسه نقائص ولنا مزايا ، وبفضل جهودنا يمكن أن نضعف مزية العدو وأن نفاقم من نقائصه ، كما يمكن أن نقوى مزايانا وأن نتغلب على نقائصنا . ونستطيع بذلك أن نكسب النصر النهائى ونجنب وطننا خطر السقوط . أما العدو فسوف ينتهى الى الهزيمة ولن يتفادى انهيار كل نظامه الامبريالى .

٣١ ــ مادام للعدو نقائص جمة ومزية واحدة فقط ، ومادام لنا مزايا كثيرة

ونقيصة واحدة فقط ، فلماذا لم يؤد هذا الى توازن القوى ، بل بالعكس أدى الى تفوق العدو علينا فى الوقت الراهن ؟ بديهى أنه لا يجوز أن ننظر فى القضية بهذه النظرة الشكلية . فالحقيقة أن التفاوت فى القوة بين العدو وبيننا هو فى الوقت الراهن كبير جدا بحيث أن نقائص العدو فى الوقت الحاضر لم تتطور بعد ولا يمكن أن تتطور الى الدرجة المطلوبة لاضعاف قوته ، فى حين لم تتطور مزايانا الآن ولا يمكن أن تتطور الى الدرجة المطلوبة للتعويض عن ضعفنا . ولهذا لم يظهر توازن القوى بعد وانما ظهر عدم التوازن .

٣٢ — على الرغم من أن جهودنا فى المثابرة على حرب المقاومة والتمسك بالجبهة المتحدة قد أدت الى بعض التبدلات فى قوة العدو وضعفنا ، وفى تفوقه علينا ، ولكن مع ذلك لم يحدث حتى الآن أى تبدل أساسى فى هذا المضمار . ولذا يمكن فى مرحلة معينة من الحرب أن ينتصر العدو الى درجة معينة ونمنى نحن بالهزيمة الى حد معين . لكن ما هو السبب فى أن كلا من انتصار العدو وهزيمتنا محصور فى تلك المرحلة المعينة وفى تلك الحدود المعينة ، دون الوصول الى النصر الكامل أو الهزيمة التامة ؟ ان الأسباب هى : أولا كانت قوة العدو وضعفنا منذ البداية نسبيين لا مطلقين ، وثانيا قد زادت من تلك النسبية جهودنا المبذولة فى المثابرة على حرب المقاومة والتمسك بالجبهة المتحدة : لننظر فى الوضع الأصلى : كان العدو قويا ، ولكن قوته هذه قد ضعفت بفعل العوامل غير المؤاتية له ، بيد أنها لم تضعف بعد ضعفا كافيا لتحطيم تفوقه . وكنا ضعفاء ولكن ضعفنا هذا قد عوضت عنه العوامل المؤاتية لنا ، بيد أنها لم تعوض عنه بعد الى حد تغيير مركزنا المتفوق عليه . وهكذا أسفر الموقف عن أن العدو قوى نسبيا ونحن ضعفاء نسبيا ، وأن العدو فى مركز متفوق نسبيا ، ونحن فى مركز متفوق عليه نسبيا . ان القوة والضعف ، والمركز المتفوق والمركز المتفوق عليه لدى كلا الجانبين لم تكن حالة مطلقة ، أضف الى ذلك أن جهودنا

المبذولة فى المثابرة على حرب المقاومة والتمسك بالجبهة المتحدة فى سياق الحرب قد أدت الى المزيد من التبدلات فيما كان عليه الجانبان من القوة والضعف والمركز المتفوق والمركز المتفوق عليه ، لذلك فان كلا من انتصار العدو وهزيمتنا ينحصر فقط فى مرحلة معينة وفى حدود معينة ، الأمر الذى قضى بأن تكون الحرب حربا طويلة الأمد .

٣٣ — على أن الظروف تتغير باطراد . فما دمنا نطبق فى سياق الحرب تكتيكات عسكرية وسياسية سليمة ، ولا نرتكب الأخطاء المبدئية ونبذل مجهوداتنا على أكمل وجه ، فان العوامل غير المؤاتية للعدو والعوامل المؤاتية لنا ستتطور مع امتداد الحرب ، مما يؤدى حتما الى التغير المتصل فى مقدار قوة العدو وضعفنا ، وفى مركزه المتفوق ومركزنا المتفوق عليه . وحين نصل الى مرحلة معينة جديدة سوف تحدث تبدلات هائلة فى ميزان القوى وفى مركز العدو المتفوق ومركزنا المتفوق عليه ، ومن ثم ينتهى الأمر بهزيمة العدو وانتصارنا .

٣٤ — وفى الوقت الراهن لا يزال العدو يستطيع — بالكاد — أن يستفيد من قوته ، لأن حرب المقاومة التى نخوضها لم تضعفه بعد بصورة أساسية . ونقصه فى الموارد البشرية والمادية لم يستفحل بعد الى حد ايقاف هجومه ، بل على النقيض من ذلك ، فان موارده البشرية والمادية تكفى لتدعيم هجومه الى درجة معينة . كما أن رجعية حرب العدو وهمجيتها — هذا العامل الذى من شأنه أن يشدد من حدة العداء الطبقى فى اليابان نفسها ويزيد من مقاومة الأمة الصينية ، هى كذلك لم تخلق بعد وضعا يمكن معه منع هجوم العدو من حيث الأساس . ثم ان عزلة العدو العالمية لم تأخذ فى التفاقم الا منذ وقت قريب ولم تصبح عزلة تامة حتى الآن . و ما برح الرأسماليون المتاجرون بالذخائر والمواد الحربية ، فى بلدان كثيرة قد أعربت عن رغبتها فى مساعدتنا ، يزودون اليابان بكميات

هائلة من العتاد الحربى (١٥) سعيا وراء الأرباح ، ولا تزال حكوماتهم (١٦) عازفة عن مشاركة الاتحاد السوفياتى فى تطبيق تدابير عملية هادفة الى معاقبة اليابان . وكل هذا يقرر أن حرب المقاومة التى نخوضها لا يمكن أن تنتصر عاجلا ، ولن تكون غير حرب طويلة الأمد . أما الصين ، فعلى الرغم من أنها قد تغلبت الى درجة معينة على ضعفها فى المجالات العسكرية والاقتصادية والسياسية والثقافية خلال الأشهر العشرة من حرب المقاومة ، الا أن ذلك لا يزال بعيدا عما يستلزمه ايقاف هجوم العدو واستعدادنا للهجوم المضاد . وفوق ذلك ، لا تجد الصين مناصا من أن تتحمل – من حيث الكمية – بعض الخسائر . وأما العوامل المختلفة المؤاتية لنا فقد بدأت تلعب دورا فعالا ، ولكن لا يزال علينا أن نبذل جهودا جبارة قبل أن نستطيع ايقاف هجوم العدو والتحضير للهجوم المضاد . ان ازالة ظواهر الفساد والتعجيل بالتقدم فى الداخل ، والتغلب على القوى المناصرة لليابان وتوسيع القوى المناهضة لها فى الخارج لم تصبح بعد أمورا واقعة . وهذا كله يقرر أيضا أن حربنا لا يمكن أن تنتصر عاجلا ، ولا يمكن الا أن تكون حربا طويلة الأمد .

المراحل الثلاث للحرب الطويلة الأمد

٣٥ – ما دامت الحرب الصينية اليابانية حربا طويلة الأمد ، وما دام النصر النهائى سيكون حليفا للصين ، يمكننا أن نفترض بصورة منطقية أن هذه الحرب الطويلة الأمد ستجتاز ثلاث مراحل : المرحلة الأولى هى مرحلة الهجوم الاستراتيجى للعدو ودفاعنا الاستراتيجى ، والمرحلة الثانية هى مرحلة الدفاع الاستراتيجى للعدو وتحضيرنا للهجوم المضاد ، أما المرحلة الثالثة فهى مرحلة هجومنا المضاد الاستراتيجى والتراجع الاستراتيجى للعدو . ومع أنه من المستحيل

أن نتنبأ بالتفصيل بما ستكون عليه الأوضاع القائمة فى هذه المراحل الثلاث ، الا أننا نستطيع ، على ضوء الظروف الحالية ، أن نشير الى بعض الاتجاهات الرئيسية لتطور الحرب . ورغم أن الواقع الموضوعى سيسير فى مجرى حافل بالأحداث ملىء بالتعرجات والتقلبات ، ولا يستطيع أحد أن يؤلف كتابا فى « طالع » الحرب الصينية اليابانية ، الا أن تحديد الخطوط الأساسية لتطور هذه الحرب هو أمر ضرورى بالنسبة الى القيادة الاستراتيجية لها . وهكذا ، فعلى الرغم من أن هذه الخطوط لن تطابق التطورات المقبلة كليا ، بل سوف تعود تلك التطورات لتصححها ، ولكنها ضرورية على أى حال من الأحوال ، من أجل ممارسة القيادة الاستراتيجية للحرب الطويلة الأمد بصورة حازمة وواضحة الأهداف .

٣٦ — المرحلة الأولى لم تنته حتى الآن . ويحاول العدو احتلال قوانغتشو ووهان ولانتشو ثم ربط هذه النقاط الثلاث بعضها ببعض . بيد أن العدو لا بد له فى سبيل تحقيق هذه المحاولة من أن يستخدم خمسين فرقة على الأقل ، أى حوالى مليون ونصف مليون من الجنود ، وأن يكرس لذلك سنة ونصف سنة حتى سنتين ، وأن يصرف ما يزيد على عشرة مليارات ين من العملة اليابانية . ولا شك أن العدو سوف يصادف بهذا التغلغل البعيد المدى فى قلب بلادنا مصاعب هائلة جدا ، ويتحمل عواقب وخيمة فوق التصور . أما اذا حاول العدو احتلال سكة حديد قوانغتشو — هانكو وطريق شيآن — لانتشو احتلالا تاما ، فانه سيواجه معارك ضارية للغاية ، ولعله لن يستطيع أن يحقق محاولته هذه كليا . ولكننا حين نرسم خطتنا الحربية يجب أن نخطط للحرب الطويلة الأمد على أساس أن العدو سوف يستطيع أن يحتل تلك النقاط الثلاث وحتى بعض المناطق الواقعة فيما وراءها وأن يصل بعضها ببعض ، لكى نتمكن من مجابهة العدو اذا استطاع تحقيق ذلك . ان شكل الحرب الأساسي الذى

ينبغي أن نتخذه فى هذه المرحلة هو حرب متحركة نكملها بحرب العصابات والحرب الموقعية . والحرب الموقعية هذه ، وان وضعتها السلطات العسكرية للكومينتانغ فى مكان الصدارة خلال الفترة الأولى من هذه المرحلة بسبب أخطائها الذاتية ، لا تلعب الا دورا مساعدا خلال كل المرحلة . وفى هذه المرحلة تشكلت فى الصين جبهة متحدة واسعة وتحققت وحدة لم يسبق لها مثيل . فعلى الرغم من أن العدو قد لجأ وسيلجأ الى أساليب دنيئة ووقحة لحث الصين على الاستسلام بغية انجاز خطة الحسم السريع فى احتلال الصين كلها دون أن يبذل جهدا كبيرا ، ولكنه فشل فى الماضى ، ولن ينجح فى المستقبل . لقد تكبدت الصين فى هذه المرحلة خسائر فادحة ، ولكنها استطاعت فى الوقت نفسه أن تحرز تقدما كبيرا يشكل الأساس الرئيسى لمواصلة حرب المقاومة فى مرحلتها الثانية . كما أن الاتحاد السوفياتى قد قدم الينا كمية ضخمة من المعونة فى هذه المرحلة . أما عدونا فقد بدأ يدب التدهور فى روحه المعنوية ، وأصبحت قواته البرية فى الفترة الوسطى من هذه المرحلة أضعف صولة فى المهاجمة منها فى الفترة الأولى ، وسوف يزداد هذا الضعف فى الفترة الأخيرة ، وأخذت الدلائل تشير الى أن العدو بدأ ينهار ماليا واقتصاديا ، وأخذ النفور من الحرب يعترى الشعب والجنود ، وأخذ يسرى فى داخل كتلته التى تدير الحرب « ضيق الصدر بمستقبل الحرب » ، وتنمو فيها روح التشاؤم حول نتيجة الحرب .

٣٧ ــ يمكن أن تسمى المرحلة الثانية بمرحلة التعادل الاستراتيجى . وسوف يضطر العدو فى أواخر المرحلة الأولى ، نتيجة لنقصه فى القوات المسلحة ومقاومتنا الحازمة ، الى رسم بعض النقاط كحدود لهجومه الاستراتيجى ، ومتى يصل الى هذه النقاط يوقف ذلك الهجوم الاستراتيجى وينتقل الى مرحلة المحافظة على الأراضى التى تم احتلالها ، لذا سوف يحاول فى هذه المرحلة أن يحافظ على الأراضى المحتلة ، وأن يستأثر بها بطريقة مضللة ــ طريقة اقامة حكومات

عميلة ، حتى يمكن أن ينهب من الشعب الصينى كل ما يملك من غال ورخيص ، ولكنه سيواجه فى الوقت نفسه حرب عصابات عنيدة . ذلك أن حرب العصابات هذه سوف تنتفع بالفراغ الموجود فى مؤخرة العدو خلال المرحلة الأولى فتتطور وتنتشر وتقام لها قواعد كثيرة مما يشكل ، من حيث الأساس ، خطرا على العدو فى محافظته على الأراضى المحتلة . وهكذا فان المرحلة الثانية سوف تشهد عمليات عسكرية واسعة أيضا . وسوف نتخذ نحن فى هذه المرحلة حرب العصابات كشكل رئيسى للقتال . ونكملها بالحرب المتحركة . وحينئذ سوف يظل فى مقدور الصين أن تحتفظ بجيش نظامى كبير ، ومع ذلك يصعب عليها أن تشن الهجوم المضاد الاستراتيجى فى الحال ، وسبب ذلك يرجع ، من جهة ، الى أن العدو يتخذ موقف الدفاع الاستراتيجى فيما يحتله من المدن الكبرى وخطوط المواصلات الرئيسية ، ومن جهة أخرى ، يرجع الى أن الصين لن تكون قد استكملت تطورها فى الناحية التكنيكية آنذاك . وسوف تنتقل أعداد ضخمة من قواتنا ، باستثناء القوات التى تتولى مهمة الدفاع فى الجبهات ، الى مؤخرة العدو حيث تعمل فى تشكيلات مبعثرة بصورة نسبية ، وتشن حرب عصابات واسعة وعنيفة على المناطق المحتلة ، بالاعتماد على جميع المناطق التى لم يحتلها العدو وبالتناسق مع الفرق المسلحة الجماهيرية ، وتبذل كل محاولة لجر العدو الى الحرب المتحركة حيث تقضى عليه كما نفعل الآن فى مقاطعة شانشى . وفى هذه المرحلة ستشتد الحرب قسوة وضراوة بحيث سيعانى كثير من المناطق أضرارا خطيرة . غير أن حرب العصابات سوف تنتصر ، واذا أجدنا ممارستها ، فقد لا يتمكن العدو الا من الحفاظ على حوالى ثلث الأراضى المحتلة ، على حين يعود حوالى ثلثيها الينا ، ولا شك أن هذه هزيمة نكراء للعدو ونصر عظيم للصين . وعندئذ ستنقسم كل الأراضى التى يحتلها العدو الى ثلاثة أنواع : مناطق قواعد العدو ، ومناطق قواعد حرب العصابات ، ومناطق حرب العصابات التى يتنازع

عليها الطرفان . وهذه المرحلة سوف تتحدد مدتها تبعا لما يمكن أن يحدث من تبدلات فى نسبة القوى بين العدو وبيننا ، وفى الوضع العالمى ، وينبغى لنا ، على العموم ، أن نستعد لاعطائها مدة طويلة نسبيا ، وينبغى أن نقطع هذه المرحلة المحفوفة بالمتاعب والمشاق الى آخر الشوط . وسوف تكون هذه المرحلة مرحلة أليمة جدا بالنسبة الى الصين التى ستواجه فيها مشكلتين خطيرتين ــ المصاعب الاقتصادية ونشاطات الخونة الهدامة . وسوف يسعى العدو باستهتار الى تقويض الجبهة المتحدة الصينية ، كما ستتجمع المنظمات الخائنة فى جميع المناطق التى يحتلها العدو وتشكل ما يسمى بـ « الحكومة المتحدة » . أما فى صفوفنا ، فسوف ترفع العناصر المتذبذبة عقيرتها لترويج نظرية المهادنة وسوف تنمو الروح التشاؤمية نموا خطيرا بسبب فقدان المدن الكبرى ، والمصاعب التى تنتج عن الحرب . وسوف تكون مهمتنا آنذاك هى أن نعبىء الشعب كله حتى تتحد كلمته ويثابر على الحرب بعزيمة لا تنثنى ولا تلين ، وأن نوسع الجبهة المتحدة وندعمها ، وأن نتغلب على نزعة التشاؤم ونظرية المهادنة بكل أشكالهما ، وأن ندعو الى النضال الشاق ، وأن نطبق سياسة جديدة لزمن الحرب هذا ، لكى نجتاز هذه المرحلة الشاقة . ويجب علينا فى هذه المرحلة أن ندعو الأمة بأسرها الى أن تحافظ بكل عزم على حكومة متحدة وتعارض الانقسام وتعمل على تحسين تكنيكنا الحربى بصورة مخططة واصلاح الجيش وتعبئة الشعب كله والتحضير للهجوم المضاد . وسوف يصبح الوضع العالمى فى هذه المرحلة أشد ضررا لليابان . ورغم أنه من المحتمل أن نسمع نغمة التسوية « الواقعية » على شاكلة تسوية تشمبرلن التى تقوم على الرضوخ لما يسمى « الأمر الواقع » ، فان القوى العالمية الرئيسية سوف تتحول وتقدم المزيد من المساعدة الى الصين . كما أن التهديد اليابانى لجنوب شرقى آسيا وسيبيريا سوف يصبح أشد منه فى الماضى ، وقد ينتهى الأمر الى اندلاع حرب جديدة . أما العدو فلن يستطيع أن يسحب الى مكان

آخر عشرات الفرق اليابانية فى الصين، التى قد تورطت فى ورطة لا مخرج منها . وسوف تنهك هذه القوات اليابانية الضخمة الى حد بعيد من جراء حرب العصابات الواسعة وحركة المقاومة الشعبية ضد اليابان ، فيقضى عليها بأعداد ضخمة ، كما سيزداد جنودها حنينا الى الوطن ونفورا من الحرب وحتى كراهية للحرب ، الأمر الذى يقوض معنويات هذه القوات . ومع أنه لا يمكن القول بأن اليابان لن تنال أية نتيجة على الاطلاق فى نهب خيرات الصين ، الا أنها لن تحقق نتائج عاجلة وهائلة فى هذا الصدد ، لأنها تفتقر الى الرساميل ، ولأن حرب العصابات ترهقها . ان هذه المرحلة الثانية سوف تكون مرحلة انتقالية فى الحرب كلها ، وبالتالى فهى أصعب مرحلة ، الا أنها سوف تكون أيضا مركز تحول . أما فيما اذا كانت الصين ستتحول الى دولة مستقلة أم الى بلد مستعمر ، فان هذه المسألة لا تحسم على أساس الاحتفاظ بالمدن الكبرى أو فقدانها فى المرحلة الأولى ، انما تحسم على أساس مقدار الجهد الذى ستبذله الأمة بأسرها فى المرحلة الثانية . فاذا استطعنا المثابرة على حرب المقاومة ، والتمسك بالجبهة المتحدة ، ومواصلة الحرب الطويلة الأمد بحزم ، فان الصين سوف تكتسب خلال هذه المرحلة القوة الضرورية لتحويل نفسها من الضعيفة الى قوية . وسوف تشكل هذه المرحلة الفصل الثانى من مسرحية حرب المقاومة الصينية ذات الفصول الثلاثة ، واذا بذل جميع الممثلين جهودهم أمكن تمثيل فصلها الختامى — أكثر الفصول روعة — تمثيلا ممتازا .

٣٨ — والمرحلة الثالثة هى مرحلة الهجوم المضاد لأجل استرداد الأراضى المفقودة . وسوف تتم عملية الاسترداد بالاعتماد بصورة رئيسية على القوة التى بنتها الصين فى المرحلة السابقة والتى تواصل انماءها فى المرحلة الثالثة . لكن هذه القوة وحدها لا تكفى ، فلا بد للصين ، الى جانب الاعتماد عليها ، من الاعتماد على المساعدة التى تقدمها القوى العالمية وعلى التبدلات التى تحدث فى داخل

الدولة المعادية ، والا فمن المستحيل أن تحقق النصر . وهذا يتطلب أن تزيد الصين من جهودها فى دعايتها الخارجية ونشاطاتها الدبلوماسية . وفى هذه المرحلة لن تبقى الحرب فى حالة الدفاع الاستراتيجى ، بل ستتحول الى هجوم مضاد استراتيجي يظهر بمظهر هجوم استراتيجى ، كما لن تبقى العمليات العسكرية جارية فى الخط الداخلى فى الناحية الاستراتيجية ، بل ستنتقل بالتدريج الى عمليات الخط الخارجى فى الناحية الاستراتيجية . ولا يمكن أن نعتبر أن هذه الحرب قد وضعت أوزارها ، الا بعد أن نزحف الى ضفاف نهر يالو مظفرين . ان المرحلة الثالثة هى المرحلة الأخيرة من الحرب الطويلة الأمد ، ونحن حين نقول اننا سنسير فى هذه الحرب حتى آخر الشوط ، نعنى وجوب اجتياز هذه المرحلة بكاملها . وخلال هذه المرحلة سوف نتخذ مرة أخرى الحرب المتحركة شكلا رئيسيا لحربنا ، على أن الحرب الموقعية سترقى الى مركز هام . فاذا كان الدفاع الموقعى فى المرحلة الأولى لم يستأهل أن يعطى أهمية كبيرة بسبب الظروف القائمة فى ذلك الوقت ، فان الهجوم الموقعى سوف يصبح فى المرحلة الثالثة على جانب كبير من الأهمية بسبب تغير الظروف ومتطلبات المهمات . أما حرب العصابات فسوف تلعب خلال هذه المرحلة دور الدعم الاستراتيجى فى تكميل الحرب المتحركة والحرب الموقعية ، وهى تختلف عنها فى المرحلة الثانية حيث تعتبر شكل الحرب الرئيسى .

٣٩ — ويتبين من ذلك أن الحرب ستكون طويلة وبالتالى ستكون قاسية ضارية . فليس بمقدور العدو أن يبتلع الصين كلها ، ولكنه يستطيع أن يحتل منها مناطق كثيرة لمدة طويلة نسبيا . كما أن الصين هى الأخرى تعجزعن دحر اليابانيين دحرا عاجلا ، ولكن القسم الأكبر من أراضيها سوف يظل فى حوزتها . وفى ختام المطاف سوف يبوء العدو بالهزيمة ونتكلل نحن بالنصر على أنه يجب أن نجتاز طريقا شاقا .

٤٠ — سوف يصقل الشعب الصينى صقلا جيدا فى مجرى هذه الحرب الطويلة والقاسية ، كما ستصقل وتختبر جميع الأحزاب السياسية الصينية المشتركة فى الحرب . ينبغى التمسك بالجبهة المتحدة ؛ فلا يمكننا أن نثابر على الحرب الا بالتمسك بالجبهة المتحدة ؛ ولا يمكننا أن ننال النصر النهائى الا بالتمسك بالجبهة المتحدة والمثابرة على الحرب . فاذا عملنا ذلك فعلا ، فسوف نتمكن من تذليل كل الصعاب . ومتى اجتزنا فى الحرب طريقها الصعب سرنا فى طريقها المعبد المؤدى الى النصر ، وهذا منطق الحرب الطبيعى .

٤١ — ان التبدلات الطارئة على نسبة القوى بين العدو وبيننا سوف تسير خلال المراحل الثلاث على النسق الآتى : فى المرحلة الأولى يكون العدو متفوقا علينا ونحن ضعفاء . وبصدد ضعفنا يجب أن نضع فى الحسبان نوعين من التبدل منذ عشية حرب المقاومة حتى نهاية هذه المرحلة . النوع الأول هو التبدل الى الأسوأ . سوف يشتد ضعف الصين من جراء الخسائر التى تنزل بها فى المرحلة الأولى ، أى ستتناقص أراضيها وسكانها وقوتها الاقتصادية وقوتها العسكرية ومؤسساتها الثقافية . ولعل هذا التناقص سيبلغ درجة كبيرة فى أواخر هذه المرحلة ، وعلى الأخص فى المجال الاقتصادى . وسوف يستغل بعض الناس هذه الحقيقة كحجة لتبرير نظرية سقوط الصين ونظرية المهادنة . ولكن يجب أن نلاحظ النوع الثانى وهو التبدل الى الأفضل . والمقصود من ذلك هو الخبرة المكتسبة خلال الحرب ، والتقدم الذى يحرزه الجيش ، والتقدم السياسى ، وتعبئة الشعب ، وتطور الثقافة فى اتجاه جديد ، وظهور حرب العصابات ، وازدياد المساعدة العالمية . . الخ . ان ما يتبدل نحو الأسوأ فى المرحلة الأولى هو الكم القديم والكيف القديم وهو يتمثل فى الكم القديم بصورة رئيسية . أما ما يتبدل فيها نحو الأفضل فهو الكم الجديد والكيف الجديد وهو يتمثل فى الكيف الجديد بصورة رئيسية . ان هذا النوع الثانى من التبدل قد أقام لنا برهانا على قدرتنا على مواصلة

الحرب الطويلة ونيل النصر النهائى :

٤٢ — كذلك نجد نوعين من التبدل فى جانب العدو فى المرحلة الأولى . النوع الأول هو التبدل الى الأسوأ وهو يتجلى فيما يلى : مئات الآلاف من القتلى والجرحى ، والخسائر فى الأسلحة والذخائر ، وهبوط معنويات الجنود ، واستياء الشعب اليابانى ، وتقلص التجارة ، وصرف ما يزيد عن عشرة مليارات ين من العملة اليابانية ، وادانة الرأى العام العالمى لليابان . . الخ . وهذا قد أقام لنا برهانا آخر على أننا نستطيع مواصلة الحرب الطويلة وانتزاع النصر النهائى . ولكن يجب علينا كذلك أن نضع فى اعتبارنا النوع الآخر من التبدل فى جانب العدو ، وهو التبدل الى الأفضل : التوسع فى رقعة الأراضى والسكان والموارد المادية . وهذه النقطة أوجدت أيضا برهانا على أن حرب المقاومة التى نخوضها الآن هى حرب طويلة الأمد لا يمكن أن نكسبها عاجلا ، كما أن بعض الناس سيستغلونها أيضا كحجة لتبرير نظرية سقوط الصين ونظرية المهادنة . ولكن ينبغى أن نضع فى حسباننا أن هذا التبدل الى الأفضل فى جانب العدو هو ذو طابع موقت وجزئى . ان احتلال العدو للأراضى الصينية أمر موقت لأنه دولة امبريالية تشرف على الانهيار . وسوف يقلص التطور العارم العنيف لحرب العصابات الصينية المناطق التى يحتلها العدو حتى تنحصر ، فى واقع الأمر ، فى شريط ضيق من الأرض . وفضلا عن ذلك، فان احتلال العدو للأراضى الصينية قد خلق وعمق التناقض بين اليابان من جانب وبين البلدان الأجنبية الأخرى من جانب آخر . ثم ان التجربة الحاصلة فى المقاطعات الشمالية الشرقية الثلاث تبين لنا أن فترة طويلة جدا بعد الاحتلال اليابانى انما تكون ، على وجه العموم ، فترة دفع رؤوس الأموال بالنسبة الى اليابان ولا يمكن أن تكون فترة لجنى الأرباح . وكل هذه الأشياء هى الأخرى براهين تنقض نظرية سقوط الصين ونظرية المهادنة ، وتؤكد نظرية الحرب الطويلة الأمد ونظرية النصر النهائى .

٤٣ ــ سوف تواصل التبدلات المذكورة أعلاه فى الجانبين تطورها فى المرحلة الثانية ، ورغم أنه لا يمكن التنبؤ بهذا التطور بالتفصيل الا أنه سيكون ، على وجه الاجمال ، كما يلى : اليابان فى حالة تدهور مستمر والصين فى حالة صعود مطرد (١٧) . مثلا سوف تبتلع حرب العصابات الصينية كميات هائلة من موارد اليابان العسكرية والمالية ، ويتعاظم استياء شعبها ، وتزداد معنويات جنودها انحطاطا ، وتتفاقم عزلتها الدولية ، أما الصين فسوف تتحسن حالها كثيرا عما هى عليه الآن : سوف تحقق مزيدا من التقدم فى المجالات السياسية والعسكرية والثقافية وفى تعبئة الشعب ، وتسجل حرب العصابات تطورات جديدة ، وينمو اقتصادها نموا جديدا الى درجة ما على أساس الصناعات الصغيرة وزراعة الأراضى الواسعة فى الداخل ، وتزداد المساعدة العالمية بصورة تدريجية . وقد تمتد هذه المرحلة الثانية زمنا طويلا جدا ، سوف يحدث خلالها انقلاب عظيم فى نسبة القوى بين العدو وبيننا ، فتصعد الصين شيئا فشيئا بينما تنحدر اليابان تدريجيا . وعندئذ سوف تتخلص الصين من المركز المتفوق عليه وتفقد اليابان تفوقها بالمقابل ، فتصلان بادىء الأمر الى حالة توازن ، ثم تنقلب الصين متفوقة واليابان متفوقا عليها . ثم بعد ذلك تكون الصين قد أتمت ، من حيث الأساس ، استعدادها للهجوم المضاد الاستراتيجى ، فتدخل مرحلة الهجوم المضاد وطرد العدو من البلاد . ويجب أن أكرر هنا أن تحول الصين من المركز المتفوق عليه الى المركز المتفوق واتمام الاستعداد للهجوم المضاد يتضمنان نمو قوة الصين الخاصة وتفاقم مصاعب اليابان وازدياد المساعدة العالمية المقدمة لنا ، وبالتقاء هذه العوامل الثلاثة سوف يتحقق تفوق الصين ويتم استعدادها للهجوم المضاد .

٤٤ ــ ونظرا للتفاوت فى تطور الصين السياسى والاقتصادى ، فان الهجوم المضاد الاستراتيجى فى مستهل المرحلة الثالثة لن يجرى على نحو واحد وبتناسق فى مختلف أنحاء البلاد ، بل سوف ينطبع بطابع اقليمى ، ويجرى

فى هذا المكان بينما يهدأ فى مكان آخر . وفى هذه المرحلة لن يفتر العدو عن بذل المحاولات لتقويض الجبهة المتحدة الصينية بمختلف أساليب التفرقة ، لذا ستكون مهمة الوحدة الداخلية فى الصين على جانب أعظم من الأهمية ، فلا بد من سد الطريق أمام الانشقاقات الداخلية لئلا يعطل ذلك هجومنا المضاد الاستراتيجى وهو فى منتصف الطريق . وسوف يصبح الوضع العالمى خلال هذه المرحلة مؤاتيا جدا للصين ، فتكون مهمة الصين أن تنتفع بهذا الوضع العالمى المؤاتى لتحقق التحرر الكامل ، وتنشئ دولة ديمقراطية مستقلة ، وبهذا تكون قد قدمت المساعدة الى الحركة المناهضة للفاشية فى العالم أجمع .

٤٥ — انتقال الصين من المركز المتفوق عليه الى حالة توازن القوى ثم الى المركز المتفوق ، وانتقال اليابان من المركز المتفوق الى حالة توازن القوى ثم الى المركز المتفوق عليه ، أو انتقال الصين من الدفاع الى التعادل ثم الى الهجوم المضاد ، وانتقال اليابان من الهجوم الى الدفاع ثم الى التراجع — هذه هى عملية الحرب الصينية اليابانية واتجاهها المحتوم .

٤٦ — وهكذا نصل الى الجواب على الأسئلة المطروحة على النحو التالى : هل ستسقط الصين ؟ الجواب : كلا ، لن تسقط الصين ، بل سيكون النصر النهائى حليفها . اذن فهل تستطيع الصين أن تنتصر عاجلا ؟ الجواب : كلا ، لن تستطيع ذلك ، ولا بد لها من خوض حرب طويلة الأمد . وهل هذه النتيجة سليمة ؟ انى أعتقد ذلك .

٤٧ — وعندما يصل حديثنا الى هنا سيتقدم دعاة نظرية سقوط الصين ونظرية المهادنة قائلين : لا بد للصين ، من أجل الانتقال من المركز المتفوق عليه الى حالة التوازن ، أن تحصل على قوة عسكرية واقتصادية مساوية لقوة اليابان ، أما من أجل الانتقال من حالة التوازن الى المركز المتفوق فلا بد لها من أن تحوز قوة عسكرية واقتصادية أكبر من قوة اليابان . لكن هذا مستحيل ،

وبالتالى فان النتيجة الآنفة الذكر غير سليمة .

٤٨ — ورأيهم هذا يسمى نظرية « السلاح يقرر كل شيء » (١٨) ، وهى نظرية ميكانيكية الى قضية الحرب ، ونظرة ذاتية ووحيدة الجانب الى القضايا المطروحة . أما رأينا فعلى النقيض من ذلك ، اذ أننا لم نأخذ فى الاعتبار عامل السلاح وحده بل أخذنا فى الاعتبار أيضا عامل الانسان . ان السلاح عامل مهم فى الحرب ، لكنه ليس العامل الحاسم ، فالعامل الحاسم فى الحرب هو الانسان لا المادة . ان نسبة القوى لا تعنى نسبة القوة العسكرية والاقتصادية وحدها بل تعنى أيضا نسبة القوى البشرية وما تبديه القلوب من عطف أو نفور . فالقوة العسكرية والاقتصادية تتطلب هيمنة الانسان عليها . فاذا وقفت الأغلبية العظمى من الصينيين واليابانيين وشعوب العالم الى جانب حرب المقاومة ضد اليابان ، فهل هناك مبرر لاعتبار للقوة اليابانية العسكرية والاقتصادية التى تمتلكها عنوة قلة من الناس متفوقة ؟ واذا لم تكن المتفوقة أفلا تصبح الصين التى تمتلك القوة العسكرية والاقتصادية المتفوق عليها نسبيا هى القوة المتفوقة بالمقابل ؟ لا مجال للشك فى أن الصين تستطيع أن تنمى قوتها العسكرية والاقتصادية بصورة تدريجية ، ما دامت تثابر على حرب المقاومة وتتمسك بالجبهة المتحدة . وسوف تتغير فى الوقت نفسه القوة اليابانية العسكرية والاقتصادية فى اتجاه معاكس ، بعد أن تضنيها الحرب لمدة طويلة والتناقضات الداخلية والخارجية . أفلا يكون اذن فى وسع الصين ، والحالة هذه ، أن تخرج متفوقة ؟ وهذا ليس كل شيء ، فبالرغم من أنه لا يمكن الآن أن نعد القوة العسكرية والاقتصادية للبلدان الأجنبية — بمقدار كبير وبصورة علنية — فى عداد قوتنا ، ولكن ألا يمكن ذلك فى المستقبل أيضا ؟ واذا لم تكن الصين هى وحدها خصم اليابان ، واذا حدث فى المستقبل أن عمدت دولة واحدة أو عدة دول بصورة علانية الى استخدام جزء كبير جدا من قوتها العسكرية والاقتصادية

فى الدفاع ضد اليابان أو الهجوم عليها ، وقدمت المساعدة الينا بصورة صريحة ، اذن ، أفلا يزداد تفوقنا بذلك كثيرا ؟ ثم ان اليابان بلد صغير ينغمس فى حرب رجعية وهمجية وتتزايد عزلتها على الصعيد العالمى ، بينما الصين بلد كبير يخوض حربا تقدمية وعادلة ويتمتع بالتأييد العالمى أكثر فأكثر . ألا يمكن لهذه العوامل جميعا ، بعد أن تمر بفترة طويلة من التطور ، أن تؤدى الى تغير الوضع الحالى الذى فيه يكون العدو متفوقا علينا تغيرا أكيدا ؟

٤٩ — أما دعاة نظرية النصر العاجل فهم لا يدركون أن الحرب هى مباراة بين القوى ، وكذلك لا يدركون أن فكرة خوض المعركة الحاسمة استراتيجيا وتعجيل تحرير البلاد قبل أن تطرأ تبدلات معينة على نسبة القوى بين الطرفين المتحاربين لا تستند الى أساس . انهم اذا وضعوا فكرتهم موضع التنفيذ فلن يسلموا حتما من تحطيم رؤوسهم بالحائط ، ولعلهم ينادون بالفكرة لمجرد الترويح عن النفس دون أن يستعدوا حقا لتطبيقها . وفى آخر الأمر سيظهر صاحبنا ، وهو الوقائع ، ليصب ماء باردا على رؤوس هؤلاء الثرثارين مؤكدا أنهم ليسوا أكثر من ثرثارين يسعون للحصول على الأشياء بثمن بخس ويتمنون أن يجنوا نصيبا أوفر من المحصول بأقل جهد ممكن . ومثل هذه الثرثرة لم تنتشر كثيرا رغم أنها كانت وما زالت موجودة ، ولكنها قد تصيب اتساعا عندما تتطور الحرب الى مرحلة التعادل فمرحلة الهجوم المضاد . كما أن نظرية سقوط الصين ونظرية المهادنة سوف تتفشيان بصورة فظيعة ، اذا تكبدت الصين خسائر فادحة جدا فى المرحلة الأولى واذا طالت المرحلة الثانية كثيرا . وعلى ذلك يجب أن نصب نيراننا بصورة رئيسية على نظرية سقوط الصين ونظرية المهادنة ، وبصورة ثانوية على الثرثرة السخيفة عن النصر العاجل .

٥٠ — اذن ثبت أن الحرب ستكون طويلة ، ولكن لا يستطيع أحد أن يتنبأ على وجه الدقة كم شهرا أو سنة ستستمر الحرب ، لأن الأمر يتوقف كليا

على التغيرات فى نسبة القوى بين العدو وبيننا . وليس من سبيل أمام جميع أولئك الذين يريدون أن يختصروا مدة الحرب ، سوى العمل الجاهد من أجل تنمية قوانا واضعاف قوى العدو . ومعنى ذلك على وجه التحديد أن السبيل الوحيد هو السعى الى كسب المزيد من المعارك وانهاك قوات العدو المسلحة ، والى تطوير حرب العصابات بحيث تفضى الى تقليص الأراضى التى يحتلها العدو الى أضيق نطاق ممكن ، والى تدعيم الجبهة المتحدة وتوسيعها لأجل توحيد قوى الأمة بأسرها ، والى انشاء قوات جديدة وتطوير صناعات حربية جديدة ، والى دفع التقدم السياسى والاقتصادى والثقافى ، والى تعبئة الأوساط المختلفة — العمال والفلاحين ورجال التجارة والصناعة والمثقفين ، والى تفكيك قوات العدو وكسب جنوده الى جانبنا ، والى ممارسة الدعاية الخارجية من أجل كسب المساعدة العالمية ، والى كسب المساعدة من قبل الشعب اليابانى وسائر الأمم المضطهدة . ولا يمكننا اختصار مدة الحرب الا اذا أنجزنا هذه الأعمال كلها ، وليس هناك طريقة سحرية بسيطة غير هذه الطريقة .

حرب متداخلة تداخل أنياب الكلب

٥١ — يجوز لنا أن نقطع بأن حرب المقاومة الطويلة الأمد ضد اليابان سوف تسطر صفحة مجيدة فذة فى تاريخ حروب البشرية . فجريان الحرب بصورة متداخلة تداخل أنياب الكلب مثلا هو بحد ذاته شيء فريد من نوعه ، وهو نشأ عن عوامل متناقضة هى : همجية اليابان ونقصها فى القوات المسلحة من جهة ، وتقدمية الصين ورحابة أرضها من جهة أخرى . وسبق أن عرف التاريخ حروبا من نوعها كالحرب الأهلية الروسية التى استمرت ثلاث سنوات عقب ثورة أكتوبر ، بيد أن هذه الحرب التى تجرى فى الصين تتميز بما لم يسبق

له مثيل من طول الأمد واتساع النطاق وهى سوف تحطم فى هذا الميدان جميع الأرقام القياسية فى التاريخ . ويتجلى وضع هذا التداخل الذى يشبه تداخل أنياب الكلب فى الحالات التالية .

٥٢ — الخط الداخلى والخط الخارجي . ان حرب المقاومة ضد اليابان تجرى كلها فى الخط الداخلى ، ولكن اذا نظرنا الى العلاقة بين قواتنا النظامية وفصائل العصابات وجدنا أن الأولى تقاتل فى الخط الداخلى والأخيرة فى الخط الخارجي ، الأمر الذى يؤلف لوحة رائعة : العدو مطوق بين فكى كماشة . وكذلك العلاقة فيما بين مناطق حرب العصابات . فكل منطقة منها تحارب باتخاذ نفسها خطا داخليا والمناطق الأخرى خطا خارجيا ، مما يشكل خطوطا نارية عديدة تطوق العدو أيضا تطويق الكماشة . وفى المرحلة الأولى من الحرب يتقهقر الجيش النظامى المحارب استراتيجيا فى الخط الداخلى ، فى حين تتقدم فصائل العصابات المحاربة استراتيجيا فى الخط الخارجي بخطى كبرى وعلى نطاق واسع نحو مؤخرة العدو ، وسوف تتقدم فى مزيد من القوة والعنف فى المرحلة الثانية ، فيظهر بذلك مشهد عجيب رائع : تنسيق بين التقهقر والتقدم .

٥٣ — وجود المؤخرة وعدم وجودها . ان القوات النظامية هى التى تمد جبهتها القتالية حتى الحدود الخارجية للأراضى المحتلة وتحارب انطلاقا من مؤخرة البلاد ككل . وفصائل العصابات هى التى تستقل عن مؤخرة البلاد ككل وتجعل جبهتها القتالية فى مؤخرة العدو . ولكن لفصائل العصابات فى كل منطقة من مناطق حرب العصابات مؤخرة ضيقة الرقعة تعتمد عليها لاقامة خطوط قتال غير ثابتة . ويختلف هذا الأمر بالنسبة الى فصائل العصابات التى ترسل من كل منطقة من مناطق حرب العصابات للقيام بعمليات عسكرية قصيرة الأمد فى مؤخرة العدو التى تقع فى المنطقة ذاتها ، اذ ليس لمثل هذه الفصائل مؤخرة ولا خط قتال . ان « العمليات العسكرية بدون مؤخرة » هى خاصية للحرب الثورية

فى العصر الجديد ، فى بلد واسع الرقعة ، فيه شعب تقدمى وحزب طليعى وجيش متقدم ، فليس من داع للخوف من هذه العمليات ، بل هى ستعود علينا بفوائد جمة ، فلا يجب أن نرتاب فيها ، بل يجب أن ندعو اليها .

٥٤ — التطويق والتطويق المضاد . اذا أخذنا الحرب ككل ، تبين ، دون شك ، أننا نقع فى حصار العدو الاستراتيجى ، ذلك لأن العدو يشن علينا الهجوم الاستراتيجى ويقاتل فى الخط الخارجى ، على حين نقوم نحن بالدفاع الاستراتيجى ونقاتل فى الخط الداخلى . وهذا هو النوع الأول من تطويق العدو لقواتنا . وبما أننا نواجه بقوة متفوقة عدديا القوة المعادية التى تزحف علينا فى عدة أرتال وفى الخط الخارجى استراتيجيا وأننا نطبق مبدأ القتال فى الخط الخارجى فى الحملات والمعارك ، نستطيع تطويق رتل أو أكثر من هذه القوة المعادية . وهذا هو النوع الأول من تطويقنا المضاد للعدو . ثم اذا ما أخذنا فى الاعتبار مناطق القواعد لحرب العصابات فى مؤخرة العدو ، وجدنا أن كل منطقة منها معزولة تقع فى حصار العدو اما من أربع جهات كمنطقة ووتاى الجبلية ، واما من ثلاث جهات كمنطقة شمال غربى شانشى . وهذا هو النوع الثانى من تطويق العدو لقواتنا . لكننا اذا ما نظرنا الى مناطق القواعد المختلفة لحرب العصابات مربوطة بعضها ببعض ونظرنا الى هذه المناطق مربوطة بمواقع قواتنا النظامية ، تبين أننا نطوق عددا كبيرا من الوحدات المعادية . فى مقاطعة شانشى مثلا ، طوقنا سكة حديد داتونغ — بوتشو من ثلاث جهات (من الشرق والغرب والجنوب) ، وطوقنا مدينة تاى يوان من الجهات الأربع ، ويمكننا أيضا أن نجد تطويقات مماثلة فى مقاطعات أخرى مثل خبى وشاندونغ . وهذا هو النوع الثانى من تطويقنا المضاد للعدو . وهكذا يشبه هذان النوعان من التطويق المتبادل لعبة ويتشى(١٩) على وجه العموم : الحملات والمعارك التى يخوضها كل من الطرفين ضد الآخر تشبه أكل القطع ، ومراكز العدو المحصنة (تاى يوان

مثلا) ، ومناطقنا القاعدية لحرب العصابات (جبال ووتاى مثلا) تشبه « الخانات الشاغرة » على الرقعة . أما اذا وضعنا فى حسباننا لعبة ويتشى على النطاق العالمى فوجدنا ثمة نوعا ثالثا من التطويق المتبادل ، أقصد بذلك العلاقة بين الجبهة العدوانية والجبهة السلمية . فان العدو يطوق بالجبهة الأولى الصين والاتحاد السوفياتى وفرنسا وتشيكوسلوفاكيا وبلدانا أخرى ، بينما نحن نضرب بالجبهة الثانية تطويقا مضادا على ألمانيا واليابان وايطاليا . لكن تطويقنا سوف يتحول مثل كف بوذا الى جبل العناصر الخمسة الذى يمتد على الكون برمته ويجثم على أمثال سون ووكونغ المعاصرين ـ هؤلاء المعتدين الفاشيست ـ فلا يجدون الى الخلاص سبيلا أبدا (٢٠) . وهكذا فاذا استطعنا على المجال الدبلوماسى أن ننشئ جبهة مناهضة لليابان فى منطقة المحيط الهادى باتخاذ الصين وحدة استراتيجية واتخاذ كل من الاتحاد السوفياتى والبلدان الأخرى التى يمكن أن تنضم اليها وحدة استراتيجية ، واتخاذ الحركة الشعبية فى اليابان وحدة استراتيجية أيضا بحيث ننصب للسونووكونغيين الفاشيست شبكة واسعة ومحكمة لا يستطيعون الافلات منها ، اذا استطعنا ذلك انقضى أجل عدونا . وفى الحقيقة أن اليوم الذى يتم فيه نصب هذه الشبكة على وجه العموم ، سوف يكون بالتأكيد يوم سقوط الامبريالية اليابانية . وهذا ليس بمزاح ، انه الاتجاه الحتمى للحرب .

٥٥ ـ المناطق الكبيرة والمناطق الصغيرة . من المحتمل أن تضم المناطق المحتلة القسم الأكبر من أراضى الصين الداخلية ، بينما المناطق التى تظل فى أيدينا سليمة لا تضم سوى القسم الأصغر منها . وهذا وجه من الوضع . ولكن العدو لن يستطيع فى الواقع أن يحتل من هذا القسم الأكبر ، باستثناء المقاطعات الشمالية الشرقية الثلاث وأماكن أخرى ، سوى ما يحتل المكانة الأولى من حيث الأهمية من المدن الكبرى والطرق الرئيسية وبعض مناطق السهول ، لكنها قد

لا تشكل ، من حيث اتساعها وعدد سكانها ، سوى القسم الأصغر من تلك الأراضي المحتلة ، على حين تشكل مناطق حرب العصابات الواسعة الانتشار القسم الأكبر منها . وهذا هو الوجه الثاني من الوضع . ثم اذا ما تجاوزنا المقاطعات الواقعة جنوب السور العظيم ووضعنا فى الحساب منغوليا وشينجيانغ وتشينغهاى والتبت ، وجدنا أن مساحة المناطق التى لن تسقط فى يد العدو سوف تشكل القسم الأعظم من أرض الصين ، وأن المناطق المحتلة بما فيها المقاطعات الشمالية الشرقية الثلاث لن تشكل الا القسم الأصغر منها . وهذا هو الوجه الثالث من الوضع . وطبيعى أن المناطق التى ستبقى فى أيدينا هى على جانب كبير من الأهمية فينبغى لنا أن نبذل عناية كبيرة فى تنميتها ليس فى المجالات السياسية والعسكرية والاقتصادية فحسب ، بل فى المجال الثقافى أيضا لأنه هو الآخر ذو أهمية بالغة . فان العدو قد حول مراكزنا الثقافية السابقة الى مناطق متخلفة ثقافيا ، وينبغى لنا أن نحول المناطق التى كانت متخلفة ثقافيا الى مراكز ثقافية . وكذلك تنمية مناطق حرب العصابات الواسعة فى مؤخرة العدو هى أمر بالغ الخطورة ، فيجب أن نطورها فى مختلف النواحى بما فيها العمل الثقافى . ومجمل القول أن المناطق الريفية الكبرى فى الصين سوف تتحول الى مناطق تقدمية مشرقة ، أما المناطق المحتلة الضيقة الرقعة ولا سيما المدن الكبرى ، فستتحول موقتا الى مناطق متخلفة مظلمة .

٥٦ ــ وهكذا يتضح لنا أن حرب المقاومة ضد اليابان الطويلة الأمد الواسعة النطاق هى حرب متداخلة تداخل أنياب الكلب عسكريا وسياسيا واقتصاديا وثقافيا ، وان هذا مشهد رائع يشهده تاريخ الحرب ، وعمل جليل تقوم به الأمة الصينية ، وقضية عظمى تهز الدنيا بأسرها . وهذه الحرب ستؤثر فى كل من الصين واليابان وتدفعهما الى الأمام بقوة ، وليس هذا فحسب ، بل ستؤثر فى العالم أيضا محفزة تقدم الأمم المضطهدة فى جميع البلدان وفى

مقدمتها الهند . فيجب على كل صينى أن يسهم بوعى فى هذه الحرب المتداخلة تداخل أنياب الكلب ، لأنها شكل الحرب الذى سوف تحقق به الأمة الصينية تحررها ، والشكل الخاص للحرب التحررية التى يخوضها بلد كبير شبه مستعمر فى العقدين الرابع والخامس من القرن العشرين .

الحرب فى سبيل السلام الدائم

٥٧ – ان طول الأمد الذى تتسم به الحرب الصينية المناهضة لليابان مرتبط بالنضال من أجل اقرار سلام دائم فى الصين والعالم أجمع . ولم تكن الحرب ، فى أى عصر تاريخى ، على مثل هذا القرب من السلم الدائم كما هى عليه اليوم . فمنذ ظهور الطبقات امتلأت حياة البشر طوال آلاف السنين بحروب لا تنتهى ، فقد خاضت كل أمة ما خاضت من حروب لا تحصى ، حروب أهلية أو حروب مع الأمم الأخرى . وما زالت الحرب كذلك حتى اذا دخلت فى المرحلة الامبريالية من تطور المجتمع الرأسمالى ، اشتدت ضراوتها واتسع نطاقها بصورة خاصة . وان الحرب الامبريالية الكبرى الأولى التى اندلعت نيرانها قبل عشرين سنة ، وان كانت حربا لم يسبق لها مثيل قط ، لم تكن الحرب الأخيرة . انما الحرب التى بدأت حاليا هى التى تقرب من الحرب الأخيرة ، أو بعبارة أخرى ، من السلم الدائم للبشرية . وها هو ثلث سكان العالم قد دخل فى الحرب ، انظروا : ايطاليا ثم اليابان ، والحبشة ثم اسبانيا ثم الصين . ويقدر عدد سكان هذه البلدان الداخلة فى الحرب بزهاء ٦٠٠ مليون نسمة ، أى نحو ثلث سكان العالم . وتتميز الحرب اليوم بأنها حرب غير منقطعة وقريبة من السلم الدائم . لماذا نقول انها حرب غير منقطعة ؟ ان الحرب بين ايطاليا والحبشة تلتها الحرب الايطالية الاسبانية التى أسهمت فيها ألمانيا

بنصيبها ، ثم أعقبتها الحرب بين اليابان والصين . وما عساه يحدث بعد اليوم ؟ لا شك أنه ستعقبها حرب بين هتلر والدول الكبرى . «ان الفاشية هى الحرب»(٢١)، هذا صحيح كل الصحة . ان الحرب الحالية لن تنقطع لحظة فى تطورها الى حرب عالمية كبرى ، ولن ينجو الجنس البشرى من ويلات الحرب . وطالما كان الأمر كذلك فلماذا نقول ان هذه الحرب ستكون قريبة من السلم الدائم ؟ ان الحرب الحالية انما نشبت نتيجة لتطور الأزمة العامة للرأسمالية العالمية ، التى بدأت مع نشوب الحرب العالمية الأولى ، وهذه الأزمة العامة تسوق مختلف البلدان الرأسمالية الى حرب جديدة ، وتسوق أول ما تسوق البلدان الفاشية الى مغامرات حربية جديدة . ويمكننا أن نتنبأ بأن هذه الحرب لن تنقذ الرأسمالية ، بل سوف تجرها الى الانهيار . وسوف تكون هذه الحرب أوسع نطاقا وأشد ضراوة من تلك الحرب التى وقعت منذ عشرين سنة ، وسوف تجر اليها جميع الأمم لا محالة ، وسوف تطول الحرب كثيرا ، وسوف يعانى الجنس البشرى آلاما كبرى . ولكن مما لا ريب فيه أنه ستقوم ، خلال هذه الحرب ، بحكم وجود الاتحاد السوفياتى ونمو الوعى السياسى لشعوب العالم ، حروب ثورية عظيمة تتصدى لجميع الحروب المعادية للثورة ، مما يضفى على هذه الحرب صفة حرب فى سبيل السلم الدائم . وحتى اذا حلت ، فيما بعد ، فترة حرب ، فلن يعود السلام الدائم فى العالم بعيدا . وعندما يطيح الجنس البشرى بالرأسمالية يصل الى عصر السلم الدائم ، وحينئذ لن تكون هناك حاجة الى الحرب ، ولا الى الجيش والسفن الحربية والطائرات العسكرية والغازات السامة ، وسوف تغيب الحرب بعدئذ عن أنظار البشرية الى الأبد . ان الحروب الثورية التى بدأت هى جزء من هذه الحرب لأجل السلام الدائم . وسوف تلعب الحرب الدائرة بين الصين واليابان اللتين يبلغ مجموع سكانهما أكثر من ٥٠٠ مليون نسمة دورا هاما فى هذه الحرب ، وسيتمخض عنها تحرر الأمة الصينية . وفى

المستقبل سوف تبرز صين جديدة متحررة كجزء لا يتجزأ من عالم جديد متحرر . وهكذا فان حرب مقاومتنا ضد اليابان تحمل طابع حرب فى سبيل السلام الدائم .

٥٨ — ان الحروب التى وقعت فى عصور التاريخ تنقسم الى نوعين ، حروب عادلة وحروب غير عادلة . فالحروب التقدمية جميعها عادلة ، أما الحروب التى تعوق التقدم فهى غير عادلة . ونحن الشيوعيين نناهض جميع الحروب غير العادلة التى تعوق التقدم ولا نناهض الحروب التقدمية العادلة . لا نكتفى نحن الشيوعيين بعدم مناهضة الحروب العادلة ، بل نسهم فيها بنشاط. ونذكر على سبيل المثال أن الشيوعيين فى جميع أرجاء العالم قد ناهضوا بكل حزم الحرب العالمية الأولى التى كان كل من الجانبين يقاتل فيها لأجل المصالح الامبريالية . وطريقة مناهضة الحرب التى من هذا النوع هو منعها بكل الوسائل قبل اندلاعها ، فاذا ما اندلعت وجب مناهضة الحرب بالحرب ، أى مناهضة الحرب غير العادلة بحرب عادلة كلما كان ذلك ممكنا . ان حرب اليابان حرب غير عادلة تعوق التقدم ، فمن واجب شعوب العالم ، بما فيها الشعب اليابانى ، أن تناضل ضدها ، وقد أخذت تناضل ضدها فعلا . أما فى الصين فقد رفع الجميع ، من الشعب الى الحكومة ومن الحزب الشيوعى الى الكومينتانغ ، راية العدالة وخاضوا الحرب الوطنية الثورية ضد العدوان . ان حربنا حرب مقدسة وعادلة وتقدمية فى سبيل السلم ، ليست فى سبيل اقرار السلام فى بلد واحد فحسب بل فى جميع بلدان العالم ، وليست فى سبيل اقرار السلام الوقتى فحسب بل السلام الدائم . ولبلوغ هذا الهدف ، ينبغى أن نخوض غمار حرب حياة أو موت ، وأن نستعد لمواجهة أية تضحية ، والصمود حتى النهاية ، ولن نكف اطلاقا عن القتال قبل بلوغ الهدف . ورغم أن التضحية ستكون فادحة وأن الوقت سيكون طويلا ، الا أنه قد تراءى على مرمى بصرنا ، بكل وضوح ،

عالم جديد دائم السلام والنور . ان ما يحدونا الى خوض غمار هذه الحرب هو بالضبط الايمان بأن جهودنا سوف تتمخض عنها هذه الصين الجديدة وهذا العالم الجديد اللذان يسودهما السلام والنور الى الأبد . وتحاول الفاشية والامبريالية اطالة الحروب الى ما لا نهاية ، ونريد نحن أن نضع لها حدا فى المستقبل غير البعيد . وعلى الغالبية العظمى من البشرية فى سبيل بلوغ هذه الغاية أن تبذل قصارى جهودها . ان سكان الصين البالغ تعدادهم ٤٥٠ مليون نسمة يشكلون ربع البشرية ، فاذا ما استطاعوا أن يطيحوا بالامبريالية اليابانية بجهودهم المتضافرة ويخلقوا صينا جديدة تسودها الحرية والمساواة ، قدموا بلا شك خدمات جليلة للغاية فى النضال من أجل السلام العالمى الدائم . وليس هذا أملا لا أساس له ، لأن سير تطور الاقتصاد الاجتماعى فى العالم قد اقترب من هذا الهدف ، واذا ضاعفت غالبية البشرية مجهوداتها تحقق هدفنا بالتأكيد ، فى بضعة عقود .

دور الانسان الفعال فى الحرب

٥٩ — كل ما قلناه يفسر لماذا ستكون هذه الحرب حربا طويلة الأمد ولماذا سيعود النصر النهائى للصين ، وهكذا عالجنا بصورة رئيسية قضية « ما يجب أن يكون » وقضية « ما يجب ألا يكون » . وههنا سننتقل الى دراسة قضية « كيف يجب أن يكون العمل » وقضية « كيف يجب ألا يكون العمل » . كيف نقوم بحرب طويلة الأمد ؟ وكيف نكسب النصر النهائى ؟ سنجيب على هذين السؤالين فيما يلى . وسوف نوضح لهذه الغاية جملة من القضايا حسب الترتيب التالى : دور الانسان الفعال فى الحرب ، والحرب والسياسة ، والتعبئة السياسية من أجل حرب المقاومة ، وهدف الحرب ، والعمليات الهجومية فى

الحرب الدفاعية ، والعمليات السريعة فى الحرب الطويلة الأمد ، وعمليات الخط الخارجى فى نطاق عمليات الخط الداخلى ، والمبادرة والمرونة والتخطيط ، والحرب المتحركة ، وحرب العصابات ، والحرب الموقعية ، وحرب الابادة ، وحرب الانهاك ، وامكان استغلال أخطاء العدو ، والقتال الحاسم فى حرب المقاومة ضد اليابان ، والجيش والشعب يشكلان أساس النصر . ولنبدأ بقضية دور الانسان الفعال .

٦٠ – حين نقول : اننا نعارض أية نظرة ذاتية الى الأمور ، نقصد وجوب معارضة الأفكار التى لا تستند الى الحقائق الموضوعية ، ولا تتفق معها ، والتى هى ثمرة الخيال أو الحجج الباطلة ، والتى اذا طبقت أدت الى الفشل . ولكن كل ما يفعل لا بد أن يكون من فعل الانسان ، فبدون عمل الانسان يستحيل تحقيق الحرب الطويلة الأمد والنصر النهائى فيها . ولكى يكون العمل فعالا ، فانه يستلزم قبل كل شىء أن يقوم أناس بتحليل الحقائق الموضوعية ليستخلصوا أفكارا ومبادىء وآراء ، ويرسموا خططا وسياسة عامة وسياسات محددة واستراتيجية وتكتيكات . ان الأفكار وما شاكلها هى شىء ذاتى ، أما الممارسة أو الأعمال فهى التى تنقل الذاتى الى الموضوعى ، بيد أن هذه أو تلك تمثل الدور الفعال الذى يتميز به الانسان . وهذا الدور الفعال نطلق عليه اسم « الدور الفعال الواعى » ، وهى سمة تميز الانسان عن جميع الكائنات الأخرى . وجميع الأفكار المستندة الى الحقائق الموضوعية والمتفقة معها هى أفكار صحيحة ، كما أن الممارسة أو الأعمال المسترشدة بالأفكار الصحيحة هى أعمال سليمة . وعلينا أن نطور مثل هذه الأفكار وهذه الأعمال ، نطور مثل هذا الدور الفعال الواعى . ونظرا لأن حرب المقاومة ضد اليابان تهدف الى طرد الامبرياليين وتحويل الصين القديمة الى صين جديدة ، فمن الضرورى تعبئة جميع أبناء الشعب الصينى واطلاق دورهم الفعال الواعى فى مقاومة اليابان

اطلاقا تاما ، وبهذا الطريق فقط نستطيع بلوغ هذا الهدف . أما اذا قعدنا عن الكفاح فلن ينتظرنا غير الهلاك ، ولن تكون هناك حرب طويلة الأمد ولا نصر نهائى .

٦١ — ان الدور الفعال الواعى هو سمة ينفرد بها الجنس البشرى . ويظهرها الانسان بقوة وعنف فى الحرب . ولا جدال أن النصر أو الهزيمة فى الحرب يتوقف على الظروف العسكرية والسياسية والاقتصادية والجغرافية لدى كل من الطرفين المتحاربين ، ويتوقف كذلك على طبيعة الحرب ذاتها والمساعدة العالمية ، ولكن لا يتوقف على هذه الظروف وحدها ، لأنها توفر امكانية النصر أو الهزيمة فقط ، وليس من شأنها أن تقرر النصر أو الهزيمة بالذات . فاذا أردنا تقرير تلك النتيجة ينبغى لنا أن نبذل الجهود الذاتية ، وهى قيادة الحرب وممارستها ، هى اظهار الدور الفعال الواعى فى الحرب .

٦٢ — ان الذين يقودون الحرب لا يمكن أن يأملوا كسب النصر متجاوزين الحدود التى تحددها الظروف الموضوعية ، ولكن من الممكن بل من اللازم أن يسعوا بنشاطهم الواعى الى كسب النصر فى نطاق تلك الحدود عينها . وان مسرح نشاطهم يجب أن يبنى على ما تسمح به الظروف الموضوعية ، ولكنهم يستطيعون ، على خشبة هذا المسرح ، أن يديروا مسرحيات متعددة نابضة بالحياة مليئة بمواقف البطولة والتضحية . يجب على أولئك الذين يقودون حرب المقاومة أن يظهروا ، على أساس الظروف المادية الموضوعية القائمة ، جبروتهم ويقودوا كل قواتهم لسحق عدو الأمة ، وتغيير وضع مجتمعنا وبلادنا اللذين يعانيان من العدوان والظلم ، وخلق صين جديدة تسودها الحرية والمساواة ، وهنا يمكن وينبغى أن نستفيد من قدرتنا الذاتية فى قيادة الحرب . اننا لا نوافق على أن ينفصل أى من قواد حرب مقاومة اليابان عن الظروف الموضوعية فيصبح متهورا يخبط خبط عشواء ، بل نشجعه على أن يكون قائدا يجمع بين الشجاعة

والحكمة . ويجب عليهم ألا يملكوا الشجاعة فى سبيل التغلب على العدو فحسب ، بل أن يملكوا القدرة على التحكم فى كل ما سيطرأ على الحرب من تبدلات وتطورات . وينبغى للقائد الذى يسبح فى محيط الحرب العظيم ألا يحترس من الغرق فحسب ، بل أن يصل الى الساحل المقابل بصورة أكيدة ومخططة . ان الاستراتيجية والتكتيك ، بوصفهما قانونى قيادة الحرب ، هما فن السباحة فى محيط الحرب .

الحرب والسياسة

٦٣ ـ « الحرب هى امتداد للسياسة » ، وبهذا المعنى فان الحرب هى السياسة ، وهى بحد ذاتها عمل ذو طابع سياسى ، ومنذ القدم لم تنشب قط حرب لا تحمل طابعا سياسيا . ان حرب المقاومة ضد اليابان هى حرب ثورية تخوضها أمتنا جمعاء ، والنصر فيها لا ينفصل عن غرضها السياسى ـ طرد الامبريالية اليابانية وبناء صين جديدة تسودها الحرية والمساواة ، ولا ينفصل عن السياسة العامة التى تقوم فى المثابرة على حرب المقاومة والتمسك بالجبهة المتحدة ، ولا عن تعبئة كل الشعب ، ولا عن المبادئ السياسية مبادئ الوحدة بين الضباط والجنود والوحدة بين الجيش والشعب والعمل على تفكيك قوات العدو ، ولا عن التطبيق الفعال لسياسة الجبهة المتحدة ، ولا عن التعبئة الثقافية ، ولا عن الجهود المبذولة من أجل كسب التأييد من قبل القوى العالمية وشعب الدولة المعادية . وبكلمة واحدة ، لا يمكن للحرب أن تنفصل عن السياسة ولو لحظة واحدة . وعليه فمن ينحرف من العسكريين الذين يخوضون حرب المقاومة ضد اليابان الى الاستهانة بالسياسة ، ويعزل الحرب عن السياسة ، ويصبح داعيا من دعاة « الحرب هى كل شىء » ، يكون بذلك قد ارتكب خطأ ينبغى أن يقومه .

٦٤ — الا أن للحرب خصائصها المميزة . وبهذا المعنى ليست الحرب بمنزلة السياسة بمفهومها العام . « ان الحرب هى امتداد للسياسة بوسائل أخرى »(٢٢) . فحين تتطور السياسة الى مرحلة معينة حيث لا يمكن أن تواصل تطورها بالوسائل العادية ، تندلع الحرب كى تزيل العقبات التى تعترض طريق السياسة . فمثلا عندما أصبحت وضعية الصين شبه المستقلة عقبة فى طريق التطور السياسى للامبريالية اليابانية ، شنت اليابان حربا عدوانية لازالة هذه العقبة . وماذا عن الصين ؟ لقد أصبح النير الامبريالى منذ زمن بعيد عقبة تقف فى طريق الثورة الديمقراطية البرجوازية فى الصين ، ولذا نشبت فيها حروب تحررية عديدة سعيا لازالة هذه العقبة . ولجأت اليابان الآن الى الحرب لاخضاع الصين محاولة قطع الطريق تماما على تقدم الثورة الصينية ، فلم يبق للصين الا أن تشن حرب المقاومة عازمة على ازالة تلك العقبة من طريقها . ومتى تزل العقبة ويتحقق الغرض السياسى ، تنته الحرب . ولكن اذا لم تزل العقبة تماما ينبغى مواصلة الحرب حتى يتحقق الغرض كاملا . واذا وجد ، مثلا ، أناس تراودهم الرغبة فى المهادنة مع العدو قبل انجاز مهمة حرب المقاومة ، فان رغبتهم هذه لن تتحقق حتما ، ذلك لأنه حتى ولو تمت المهادنة لسبب أو آخر ، فان الحرب ستنشب من جديد ، لأن الجماهير الشعبية الغفيرة لن تقبل ذلك ، بل ستواصل الحرب بكل تأكيد حتى يتحقق غرضها السياسى كاملا . وعلى ذلك يمكن القول بأن السياسة هى حرب غير دامية ، وأن الحرب هى سياسة دامية .

٦٥ — ان الخصائص المميزة للحرب تولد مجموعة خاصة من المنظمات ، ومجموعة خاصة من الأساليب ، وعملية خاصة بالحرب . فالمنظمات هى القوات المسلحة وكل ما يرتبط بها . والأساليب هى الاستراتيجية والتكتيك فى قيادة الحرب . أما العملية فهى شكل خاص للنشاط الاجتماعى حيث يمارس كل من الجيشين المتحاربين الهجوم أو الدفاع مستخدما من

الاستراتيجيات والتكتيكات ما ينفعه ويضر بالعدو . ولذا فان التجارب الحربية هي تجارب خاصة فى نوعها . وعلى جميع المشتركين فى الحرب أن يتخلصوا من عادات زمن السلم ويتكيفوا مع الحرب حتى يتمكنوا من كسب النصر .

التعبئة السياسية من أجل
حرب المقاومة ضد اليابان

٦٦ ــ ان حربا وطنية ثورية بالغة العظمة كحربنا هذه لا يمكن أن نكسبها بدون تعبئة سياسية واسعة الانتشار وعميقة الغور . بيد أنه لم تجر تعبئة سياسية من أجل مقاومة اليابان قبل بدئها ، وكان ذلك تقصيرا خطيرا تخلفنا بسببه خطوة عن العدو . وحتى بعدما بدأت المقاومة كانت التعبئة السياسية لا تزال بعيدة جدا عن الانتشار فضلا عن العمق . ان نيران مدافع العدو وقصفه الجوى قد أحاطت غالبية الشعب علما بوقوع الحرب . وكان ذلك أيضا نوعا من التعبئة ، غير أن العدو هو الذى قام بها بدلا منا ، ولم نقم بها نحن . أما الذين يقطنون فى المناطق النائية حيث لا يصلهم دوى المدافع فهم ما زالوا يعيشون فى طمأنينة وهدوء كالمعتاد . ولا بد من تبديل هذا الوضع ، والا فلا يمكن أن نكسب هذه الحرب التى هى حرب حياة أو موت . يجب ألا نتخلف عن العدو خطوة أخرى فى أى حال من الأحوال ، وينبغى لنا ، بالعكس ، أن ندفع التعبئة السياسية الى أقصاها لنتغلب على العدو . ان هذه التعبئة السياسية لأمر فى غاية الخطورة ؛ ان تخلفنا عن العدو فى السلاح وغيره لا يعدو أن يكون أمرا ثانويا ، أما التعبئة السياسية فهى حقا تحتل الدرجة الأولى من الأهمية . فاذا عبأنا أبناء الشعب جميعا استطعنا أن نخلق بذلك محيطا زاخرا يبتلع العدو ، وبالتالى نخلق الظروف التى تسد لنا الثغرات فى نقص السلاح والأشياء الأخرى ،

ونضع المقدمات للتغلب على جميع المصاعب فى الحرب . ان النصر لا يتحقق الا بالمثابرة على حرب المقاومة ، والتمسك بالجبهة المتحدة ، ومواصلة الحرب الطويلة الأمد بحزم . ولكن كل ذلك مستحيل بدون تعبئة أبناء الشعب . ومن سعى الى النصر مع اهمال التعبئة السياسية كان أشبه بمن « يقصد الجنوب وهو يسوق عربته شمالا » ، وسوف تكون النتيجة الحتمية ضياع النصر .

٦٧ — ما هى التعبئة السياسية ؟ أولا ، احاطة الجيش والشعب علما بغرض الحرب السياسى . ينبغى أن يدرك كل جندى وكل مدنى لماذا يجب أن نقاتل ، وما شأنه والقتال . ان الغرض السياسى من حرب المقاومة هو « طرد الامبريالية اليابانية وبناء صين جديدة تسودها الحرية والمساواة » ، وعلينا أن نوضح للجنود والمدنيين أجمعين هذا الغرض ، وبذلك فقط يمكننا أن نلهب حماسهم فى مقاومة اليابان وأن نجمع كلمة مئات الملايين من الناس حتى يبذلوا كل ما يملكون من غال ورخيص فى سبيل الحرب . ثم ان بيان الغرض وحده لا يكفى ، بل ينبغى أن نوضح الى جانب ذلك ما ننتهجه لتحقيق هذا الغرض من خطوات وسياسات ، وبتعبير آخر ، ينبغى أن نضع برنامجا سياسيا . وقد أصبح لدينا الآن « البرنامج ذو النقاط العشر حول مقاومة اليابان وانقاذ الوطن » و «برنامج مقاومة اليابان وبناء الوطن » ، وينبغى تعميمهما وسط الجيش والشعب ، وتعبئة كل الجيش والشعب لوضع هذين البرنامجين موضع التنفيذ . اننا لا نستطيع ، بدون برنامج سياسى محدد المضمون وواضح الأهداف ، أن نعبئ كل الجيش والشعب لمواصلة حرب المقاومة حتى النهاية . ثم كيف نقوم بالتعبئة ؟ بالكلام والمنشورات والبيانات والصحف والكتب والمجلات والمسرحيات والسينما ، وبواسطة المدارس والجماعات والمنظمات الجماهيرية والكوادر . وان التعبئة التى تجرى الآن فى المناطق التى يسيطر عليها الكومينتانغ ليست سوى قطرة فى المحيط ، وفضلا عن ذلك فانها تجرى بطريقة لا تروق

الجماهير الشعبية وبروح غريبة عنها ، فيجب تغييرها تغييرا فعالا . وأخيرا لا تكفى حملة تعبئة واحدة ، بل ينبغى أن تجرى التعبئة السياسية من أجل حرب المقاومة على الدوام . لكن العملية ليست مجرد تلاوة برنامجنا السياسى على أبناء الشعب تلاوة حرفية ، لأن مثل هذه التلاوة تمجها الأسماع . بل ينبغى ربط التعبئة السياسية بتطورات الحرب بالذات وبحياة الجنود وأبناء الشعب ، وينبغى جعلها حركة دائمة . ان هذه لقضية فائقة الأهمية يتوقف عليها بالدرجة الأولى نصرنا فى الحرب .

هدف الحرب

٦٨ — ولسنا نقصد هنا غرض الحرب السياسى ، لأننا قد تحدثنا آنفا عن الغرض السياسى من حرب المقاومة ضد اليابان وهو « طرد الامبريالية اليابانية وبناء صين جديدة تسودها الحرية والمساواة » . انما نقصد هنا الهدف الأساسى للحرب ، الحرب باعتبارها سياسة تراق من أجلها دماء البشرية ، باعتبارها افناء متبادلا للجيشين المتحاربين . ان هدف الحرب ليس هو الا « المحافظة على النفس وافناء العدو » (المقصود من افناء العدو هو تجريده من السلاح أو « حرمانه من القدرة على المقاومة » وليس افناء كل الأعداء جسديا) . وفى العهود القديمة كانت تستخدم الرماح والدرق فى الحروب ، فكان الرمح يستخدم لمهاجمة العدو وافنائه ، والدرقة للدفاع عن النفس والمحافظة عليها . والى يومنا هذا لا تزال الأسلحة امتدادا لهذين السلاحين . فان قاذفة القنابل والمدفع الرشاش والمدفع البعيد المدى والغازات السامة هى تطويرات للرمح ، والملاجئ والخوذ الفولاذية والتحصينات الأسمنتية والأقنعة الواقية من الغازات هى تطويرات للدرقة . أما الدبابة فهى سلاح حديث يجمع بين وظيفتى الرمح

والدرقة . ان الهجوم يشكل الوسيلة الرئيسية لافناء العدو ، لكن الدفاع أمر لا يمكن الاستغناء عنه . والهجوم يستهدف مباشرة افناء العدو ، ولكنه يستهدف فى نفس الوقت المحافظة على النفس ، لأننا اذا لم نفن العدو أفنانا هو . وغرض الدفاع المباشر هو المحافظة على النفس ، الا أن الدفاع فى الوقت نفسه يشكل وسيلة مساعدة للهجوم أو وسيلة لاعداد الانتقال الى الهجوم . والتراجع يعد من باب الدفاع ، وهو استمرار له ؛ أما المطاردة فهى استمرار للهجوم . ومما يجدر بالذكر أن افناء العدو هو الهدف الرئيسى بين أهداف الحرب ، والمحافظة على النفس هى الهدف الثانوى ، اذ لا يمكن المحافظة على النفس بصورة فعالة الا بافناء أعداد كبيرة من العدو . ولذا فان الهجوم ، باعتباره وسيلة رئيسية لافناء العدو ، يلعب الدور الرئيسى ، وان الدفاع ، باعتباره وسيلة مساعدة لافناء العدو وباعتباره احدى الوسائل للمحافظة على النفس ، يلعب الدور الثانوى . وفى مجرى الحرب العملى ، يلعب الدفاع دورا رئيسيا فى غالب الأوقات ويلعب الهجوم دورا رئيسيا فى الأوقات الباقية ، ورغم ذلك فان الهجوم يظل رئيسيا اذا نظرنا الى سير الحرب فى مجملها .

٦٩ — كيف نفسر حثنا على التضحية البطولية فى الحرب ؟ ألا يتناقض ذلك مع مبدأ « المحافظة على النفس » ؟ ليس هناك أى تناقض ، بل انهما متضادان ومتكاملان . ان الحرب هى سياسة دامية ، تتطلب دفع الثمن ، وقد يكون هذا الثمن غاليا جدا فى بعض الأحيان . وان التضحية (عدم المحافظة) جزئيا وموقتا تهدف الى المحافظة على الكل الى الأبد . ولهذا السبب بالضبط قلنا ان الهجوم الذى هو ، من حيث الأساس ، وسيلة لافناء العدو ، يقوم فى الوقت ذاته بوظيفة المحافظة على النفس . ولهذا السبب أيضا ينبغى أن يكون هناك هجوم الى جانب الدفاع ولا ينبغى أن يكون الدفاع دفاعا محضا .

٧٠ — ان هدف الحرب أى المحافظة على النفس وافناء العدو هو

جوهر الحرب بالذات وأساس كل عمل حربى ، وجوهر الحرب هذا يسرى فى جميع العمليات الحربية من العمليات التكنيكية حتى العمليات الاستراتيجية ، وهدف الحرب هذا يشكل مبدأ الحرب الأساسى ، وكل قاعدة أو مبدأ متعلق بالتكنيك أو التكتيك أو الحملات أو الاستراتيجية لا ينفصل عنه اطلاقا . فما المقصود ، مثلا ، بمبدأ الرماية « التستر والاستفادة من القوة النارية الى أقصى حد » ؟ ان الهدف من النقطة الأولى هو المحافظة على النفس ، والهدف من النقطة الثانية هو افناء العدو . وتنشأ عن النقطة الأولى أساليب مختلفة مثل الاستفادة من طوبوغرافية الأرض ومعالمها ، والتقدم فى قفزات ، وتوزيع الوحدات بشكل متناثر . وتنشأ عن النقطة الثانية أساليب مختلفة أخرى مثل تنظيف حقل الرماية وتنظيم شبكة النيران . أما قوات الصدام وقوات التجميد والقوات الاحتياطية المستخدمة فى العمليات التكتيكية ، فالأولى معدة لافناء العدو ، والثانية للمحافظة على النفس ، والثالثة لهذه أو تلك حسب الظروف القائمة ، فهى اما لافناء العدو ، فتستخدم لدعم قوات الصدام أو لمطاردة العدو ، واما للمحافظة على النفس ، فتستخدم لدعم قوات التجميد أو للقيام بالتغطية . وهكذا لا يمكن لأى مبدأ أو عمل متعلق بالتكنيك أو التكتيك أو الحملات أو الاستراتيجية أن ينفصل بأى حال من الأحوال عن هدف الحرب الذى يشمل الحرب بمجملها وينطبق على سيرها من البداية الى النهاية .

٧١ — لا يجوز للقواد على مختلف المستويات فى حرب المقاومة ضد اليابان أن يقودوا الحرب بغض النظر عن العوامل الأساسية المتناقضة المختلفة لدى الصين واليابان ، أو بغض النظر عن هدف الحرب . اذ أن هذه العوامل حين تنعكس فى الأعمال الحربية تتبلور فى نضال كل طرف لأجل المحافظة على النفس وافناء العدو . والمسألة بالنسبة الينا هى أن نسعى فى كل معركة سعيا حثيثا الى كسب النصر سواء كان كبيرا أو صغيرا ، والى تجريد قسم من

القوات المعادية من أسلحته وتكبيده الخسائر فى الأرواح والعتاد . ان تراكم هذه الانتصارات الجزئية فى افناء العدو سوف يعود علينا بانتصارات استراتيجية كبرى تتيح لنا تحقيق غرضنا السياسى وهو طرد العدو من البلاد نهائيا والدفاع عن الوطن وبناء صين جديدة .

العمليات الهجومية فى الحرب الدفاعية والعمليات السريعة فى الحرب الطويلة الأمد وعمليات الخط الخارجى فى نطاق عمليات الخط الداخلى

٧٢ – لندرس الآن السياسة الاستراتيجية المحددة فى حرب المقاومة ضد اليابان . قلنا سابقا ان سياستنا الاستراتيجية فى حرب المقاومة هى الحرب الطويلة الأمد . نعم ، هذه سياسة صحيحة تماما . ولكنها سياسة عامة وليست سياسة محددة . كيف نقوم بالحرب الطويلة الأمد فى الواقع ؟ هذا هو الموضوع الذى سنناقشه الآن . وجوابنا كما يلى : فى المرحلتين الأولى والثانية أى فى مرحلة هجوم العدو ومرحلة دفاعه ، ينبغى لنا أن نقوم بعمليات هجومية فى الحملات والمعارك فى حرب الدفاع الاستراتيجى ، وبعمليات سريعة فى الحملات والمعارك فى الحرب الطويلة الأمد من الناحية الاستراتيجية ، وبعمليات الخط الخارجى فى الحملات والمعارك فى نطاق الخط الداخلى من الناحية الاستراتيجية . وفى المرحلة الثالثة يجب علينا أن ننتقل الى الهجوم المضاد الاستراتيجى .

٧٣ – وبما أن اليابان دولة امبريالية قوية بينما نحن بلاد ضعيفة شبه مستعمرة وشبه اقطاعية ، تتخذ اليابان سياسة الهجوم الاستراتيجى ، ونقف نحن موقف الدفاع الاستراتيجى . تحاول اليابان أن تقوم بالحرب السريعة

استراتيجيا ، فيجب علينا نحن أن نعمد الى الحرب الطويلة الأمد من الناحية الاستراتيجية . وتستخدم اليابان قوات برية تبلغ عشرات الفرق (بلغت الآن ثلاثين فرقة) وقدرتها القتالية قوية الى درجة عظيمة وقسما من أسطولها البحرى لتطويق الصين وفرض الحصار عليها برا وبحرا ، كما تستخدم سلاحها الجوى لقصفها . والآن قد استولت قواتها البرية على جبهة طويلة تمتد من باوتوه الى هانغتشو ، ووصل أسطولها الى سواحل فوجيان وقوانغدونغ ، فترتب على ذلك أن تجرى عملياتها على نطاق واسع فى الخط الخارجى بينما نحارب نحن فى الخط الداخلى . وكل ذلك ينجم عن هذه الخاصية ، وهى أن العدو قوى ونحن ضعفاء . وهذا وجه من أوجه الوضع .

٧٤ ــ على أننا لاحظنا ، من ناحية أخرى ، حالة مختلفة تمام الاختلاف . فاليابان تفتقر ، رغم أنها قوية ، الى القوات . أما الصين فهى تضم ، على ضعفها ، أراضى شاسعة وسكانا كثيرين وجيشا كبيرا . وينجم عن ذلك نتيجتان هامتان : أولا ، بما أن العدو دخل بجيش قليل العدد بلادا كبيرة ، فلن يستطيع أن يحتل سوى بعض المدن الكبرى وخطوط المواصلات الرئيسية وبعض مناطق السهول ، وهكذا ستبقى فى المناطق المحتلة أراض واسعة لا يمكن للعدو أن يسيطر عليها ، مما سيهيئ لحرب العصابات الصينية ميدانا واسعا . واذا أخذنا الصين ككل فحتى لو استطاع العدو أن يحتل خط سكة حديد قوانغتشو ــ ووهان ــ لانتشو والمناطق القريبة منه ، فمن الصعب جدا أن يحتل المناطق الواقعة فيما وراءها ، الأمر الذى سيهيئ للصين مؤخرة عامة وقواعد ذات أهمية حيوية لخوض الحرب الطويلة الأمد وكسب النصر النهائى . ثانيا ، بما أن العدو يواجه جيشا كبيرا بجيش قليل العدد فانه سيقع فى حصار الجيش الكبير . وعندما يهاجمنا العدو من عدة اتجاهات ، يكون هو فى الخط الخارجى استراتيجيا بينما نكون نحن فى الخط الداخلى استراتيجيا ، أى يشن

العدو هجومه الاستراتيجي فى حين نكون نحن فى موقف الدفاع الاستراتيجى ، ويبدو ذلك كله مضرا بنا جدا . ولكن مع ذلك يمكن أن نستفيد من مزيتينا فساحة الأرض وضخامة الجيش ، فنتخذ – بدلا من الحرب الموقعية العنيدة – الحرب المتحركة المرنة حيث نستخدم عدة فرق ضد فرقة معادية واحدة ، وعشرات الآلاف من مقاتلينا ضد عشرة آلاف من جنود العدو ، وعدة أرتال ضد رتل معاد واحد ، ونطوق فجأة رتلا من أرتال العدو وذلك من الخط الخارجي لميدان القتال فننقض عليه . وهكذا فان الخط الخارجى والهجوم فى عمليات العدو العسكرية الاستراتيجية لا بد أن ينقلب ، فى أثناء الحملات والمعارك ، الى خط داخلى ودفاع . كما أن الخط الداخلى والدفاع فى عملياتنا العسكرية الاستراتيجية سيتحول ، فى أثناء الحملات والمعارك ، الى خط خارجى وهجوم . ويمكن استخدام هذا التكتيك ضد رتل واحد من العدو وضد أرتاله الأخرى كذلك . وان النتيجتين المذكورتين كلتاهما تنجم عن هذه الخاصية وهى صغر العدو وكبرنا . ثم ان جيش العدو قليل العدد ولكنه قوى (من حيث التسلح ومستوى التدريب) ، وجيشنا كبير ولكنه ضعيف (من حيث التسلح ومستوى التدريب فقط ، وليس من حيث المعنويات) ، ولهذا ينبغى لنا ، فى الحملات والمعارك ، أن نضرب القوات المعادية بقوات متفوقة عدديا ، ونهجم من الخط الخارجى على القوات المعادية فى الخط الداخلى ، بل وأن نتخذ فوق ذلك مبدأ الحرب السريعة . ومن أجل القيام بالعمليات السريعة ينبغى لنا ، على وجه العموم ، أن نضرب وحدات العدو خلال زحفها وأن نتحاشى ضربها وهى مرابطة . وينبغى لنا أن نحشد ، مقدما وبصورة سرية ، قوات قوية على جانبى الطريق التى سيسلكها العدو بالتأكيد ، ثم ننقض عليه فجأة خلال سيره فنطوقه ونهاجمه قبل أن يجد وقتا لتنظيم المقاومة ، ومن ثم ننهى المعركة بسرعة . واذا نجحنا فى خوض القتال بصورة رائعة يمكن أن نقضى على القوة المعادية كلها

أو معظمها أو قسم منها ، وان لم نوفق كثيرا ألحقنا بها ، على الأقل ، خسائر فادحة فى الأفراد . هكذا نخوض معركة واحدة ، وكذلك معارك أخرى . واذا استطعنا أن نحرز فى الشهر انتصارا واحدا كبيرا نسبيا — لا نقول أكثر من هذا — مثل انتصار ممر بينغشينغقوان أو انتصار تايرتشوانغ ، فان ذلك سيثبط معنويات العدو الى درجة كبيرة ويرفع معنويات جنودنا ويدفع العالم بأسره الى التضامن معنا . وهكذا فان حربنا الطويلة الأمد من الناحية الاستراتيجية عندما تطبق فى ميادين القتال تترجم الى عمليات سريعة ، وسوف يجبر العدو على أن يحول حربه السريعة من الناحية الاستراتيجية الى حرب طويلة الأمد بعد أن يهزم فى الحملات والمعارك العديدة .

٧٥ — المبدأ القتالى السابق الذكر حول الحملات والمعارك يمكن أن يصاغ فى عبارة واحدة هى « عمليات هجومية سريعة فى الخط الخارجى » . وهو مخالف لمبدئنا الاستراتيجى القائل : « حرب دفاعية طويلة الأمد فى الخط الداخلى » . ولكن الأول مبدأ لا غنى عنه من أجل تحقيق هذا المبدأ الاستراتيجى . فاذا كان مبدؤنا القتالى حول الحملات والمعارك هو أيضا « حرب دفاعية طويلة الأمد فى الخط الداخلى » كما فعلنا فى الأيام الأولى من حرب المقاومة فلن يتفق فى شيء مع هذين الوضعين : صغر العدو وكبرنا ، وقوته وضعفنا ، وبالتالى لن نبلغ بتاتا الهدف الاستراتيجى من الحرب الطويلة الأمد ، بل سوف يهزمنا العدو . وعلى ذلك نرى دائما أن تنظم فى بلادنا عدة مجموعات جيوش ميدانية كبيرة يزيد كل منها فى عدد رجالها على كل من مجموعات جيوش العدو الميدانية ضعفا أو ضعفين أو ثلاثة أضعاف ، لكى تنازل العدو وتقاتله فى ميدان القتال الواسع متبعة للمبدأ الآنف للذكر . وهذا المبدأ لا يمكن أن يطبق فى الحرب النظامية فحسب ، بل يمكن ويجب أن يطبق فى حرب العصابات ، كما أنه لا يصلح فقط لمرحلة معينة من الحرب ، بل لجميع مراحلها . وحتى

لو تلاشى هذا الوضع الذى يجابه فيه الضعيف القوى تلاشيا تاما بفضل ارتفاع مستوانا التكنيكى فى مرحلة الهجوم المضاد الاستراتيجى ، فان مواصلتنا العمليات الهجومية السريعة من الخط الخارجى وبقوات متفوقة عدديا سوف تمكننا من أسر عدد أكبر من الجنود وغنم كميات أضخم من العتاد . اننا اذا واجهنا ، مثلا ، فرقة واحدة من فرق العدو الميكانيكية بفرقتين أو ثلاث أو أربع من فرقنا الميكانيكية ، فستكون ثقتنا أقوى بسحق هذه الفرقة . فمن الحقائق البدهية أنه يسهل على عدة أقوياء أن يتغلبوا على واحد مثلهم .

٧٦ — واذا اتخذنا بعزم وحزم « عمليات هجومية سريعة فى الخط الخارجى » فى ميادين القتال فلن يغير ذلك نسبة القوى فى ميادين القتال فحسب ، بل سيغير الوضع العام للحرب تدريجيا . وفى ميدان القتال فبما أننا نتخذ موقف الهجوم ويكون العدو فى حالة الدفاع ، ونحارب فى الخط الخارجى بقوات متفوقة عدديا بينما يحارب العدو فى الخط الداخلى بجيش قليل العدد ، ونقوم بعمليات سريعة بينما يحاول العدو المطاولة انتظارا للنجدة مع أن الأمر قد خرج من يده ، سوف يتحول العدو من القوى الى ضعيف ، من المتفوق الى متفوق عليه فى حين يتحول جيشنا من الضعيف الى قوى ، من المتفوق عليه الى متفوق . وبعد مثل هذه المعارك الظافرة العديدة سوف يتغير الوضع العام بين العدو وبيننا . وهذا يعنى أننا باحرازنا عددا كبيرا من الانتصارات فى ميادين القتال خلال العمليات الهجومية السريعة فى الخط الخارجى نزيد قوتنا شيئا فشيئا ونضعف العدو شيئا فشيئا ، الأمر الذى سيؤثر حتما فى نسبة القوى العامة ويحدث تغيرات فيها. وعندئذ سوف تضمن لنا هذه التغيرات ، مع عوامل أخرى لدى جانبنا ومع تغيرات حاصلة داخل معسكر العدو ومع وضع دولى ملائم لنا ، امكان تحويل الوضع العام بين العدو وبيننا الى توازن فى القوى ، ثم الى تفوقنا على العدو . ووقتذاك تدق ساعة هجومنا المضاد وطرد العدو من بلادنا .

٧٧ — ان الحرب هى مباراة فى القوى ، لكن هذه القوى ذاتها ستتغير وتتبدل فى مجرى الحرب ، بالنسبة الى ما كانت عليه فى البداية . وتشكل العامل الحاسم فى هذا المجال الجهود الذاتية لتحقيق أكبر عدد ممكن من الانتصارات وارتكاب أقل ما يمكن من الأخطاء ، اذ أن العوامل الموضوعية توفر امكانيات هذه التغيرات ، أما تحويل هذه الامكانيات الى حقيقة فيحتاج الأمر الى سياسة صحيحة وجهود ذاتية . وفى هذا الوقت يلعب العامل الذاتى الدور الحاسم .

المبادرة والمرونة والتخطيط

٧٨ — ان الهجوم هو النقطة الرئيسية فى العمليات الهجومية السريعة فى الخط الخارجى خلال الحملات والمعارك ، المذكورة آنفا ، ويعنى بالخط الخارجى نطاق الهجوم ، وبالعمليات السريعة مدة الهجوم ، من هنا نشأت عبارة « العمليات الهجومية السريعة فى الخط الخارجى » . وهذا أفضل مبدأ لقيادة الحرب الطويلة الأمد ، وهو أيضا ما يسمى بمبدأ الحرب المتحركة . بيد أن هذا المبدأ لا يمكن تطبيقه بدون المبادرة والمرونة والتخطيط ، فلنبحث الآن هذه المسائل الثلاث .

٧٩ — لقد درسنا الدور الفعال الواعى سابقا ، فلماذا نعود ونتكلم على المبادرة ؟ ان الدور الفعال الواعى يعنى ، كما أوضحنا آنفا ، النشاط الواعى والجهود الواعية وهو سمة تميز الانسان عن الكائنات الأخرى وتتجلى بصورة أشد قوة وعنفا فى الحرب . أما المبادرة التى نتناولها هنا فتعنى حرية عمل القوات ، ونحن نذكرها لنميزها عن الوضع الذى تكون القوات فيه محرومة من هذه الحرية . ان حرية العمل هى بمثابة شريان الحياة للجيش ، واذا فقد الجيش هذه الحرية يشرف على الهزيمة أو الدمار . والجندى لا يجرد من السلاح الا

لأنه فقد حريته فى العمل ووقع فى الحرج كرها . وهزيمة أى جيش من الجيوش تعود الى السبب ذاته . ولهذا فان كلا الفريقين المتحاربين يبذل أقصى جهوده لكسب المبادرة وتجنب حرج الموقف . ويمكننا أن نقول ان ما طرحناه من مبدأ العمليات الهجومية السريعة فى الخط الخارجى ، والمرونة والتخطيط من أجل تحقيق هذه العمليات ، تستهدف جميعا كسب المبادرة واحراج العدو ، لتحقيق هدفنا فى المحافظة على أنفسنا وابادة العدو . بيد أن المبادرة أو الحرج لا يمكن فصله عن تفوق القوى الحربية أو ضعفها ، وبالتالى فهما لا ينفصلان عن صحة القيادة الذاتية أو خطئها . وفوق ذلك ، يمكننا أن نكسب المبادرة ونحرج العدو باستغلال تقديراته الوهمية وغفلاته . وسنحلل هذه النقاط فيما يلى .

٨٠ ــ المبادرة لا يمكن أن تنفصل عن تفوق القوى الحربية كما أن حرج الموقف لا ينفصل عن ضعف القوى الحربية . اذ أن تفوقها أو ضعفها يشكل أساسا موضوعيا للمبادرة أو حرج الموقف . ان المبادرة الاستراتيجية يمكن التمسك بزمامها واظهارها فى سهولة نسبية بواسطة العمليات الهجومية الاستراتيجية ، ولكن مركز المبادرة الذى يدوم طوال الحرب ويعم جميع جبهاتها ، أى المبادرة المطلقة لا يمكن الظفر بها الا بالتفوق المطلق ضد الضعف المطلق . واذا ما حدث صراع بين رجل قوى الجسم ورجل مصاب بمرض خطير فان المبادرة المطلقة ستكون فى يد القوى . ان اليابان لو لم تواجه تناقضات كثيرة لا يمكن التغلب عليها ، لو استطاعت مثلا أن ترسل ، دفعة واحدة ، جيشا كبيرا من عدة ملايين بل من عشرة ملايين من الجنود ، ولو امتلكت من الموارد المالية عدة أضعاف ما فى يدها الآن ، ولو لم تواجه عداء من جانب جماهير شعبها والبلدان الأخرى ، ولو لم تمارس السياسة الهمجية التى دفعت الشعب الصينى الى المقاومة المستميتة ، لاستطاعت اذن أن تحتفظ بتفوق مطلق وأن تظفر بمبادرة

مطلقة تدوم طيلة الحرب وتعم جميع جبهاتها . ولكن التاريخ يظهر أن هذا التفوق المطلق لا يتحقق الا فى نهاية حرب أو حملة ، وقلما يصادف فى بدايتهما . ونذكر على سبيل المثال أن الدول المتحالفة ، خلال الحرب العالمية الأولى ، كسبت التفوق المطلق عشية استسلام ألمانيا بينما ألمانيا أصبحت فى ضعف مطلق ، وانتهى الأمر بهزيمة ألمانيا وانتصار الدول المتحالفة . وهذا مثال عن ظهور التفوق المطلق والضعف المطلق فى نهاية الحرب . وهناك مثال آخر : عند عشية انتصارنا فى تايرتشوانغ فان القوات اليابانية التى كانت معزولة حينذاك قد تدهورت الى حالة من الضعف المطلق بعد أن استماتت فى القتال بينما ظفر جيشنا بالتفوق المطلق ، وانتهت الحملة بهزيمة العدو وانتصارنا ، وهذا مثال عن ظهور التفوق المطلق والضعف المطلق فى نهاية الحملة . ويحصل أيضا أن تنتهى حرب أو حملة الى وضع يقابل فيه تفوق نسبى ضعفا نسبيا أو الى وضع تتوازن فيه قوى الجانبين ، وفى هذه الحالة ، ستؤدى الحرب الى مهادنة وتؤدى الحملة الى استقرار الجبهة . ولكن على العموم فان التفوق المطلق والضعف المطلق هما اللذان يقرران أغلب الانتصارات والهزائم . وكل ما سبق ذكره يظهر فى نهاية حرب أو حملة لا فى بدايتهما . أما نتيجة الحرب الصينية اليابانية فيمكن أن نتنبأ بأنها ستكون هزيمة اليابان من جراء ضعفها المطلق ، وانتصار الصين بفضل تفوقها المطلق ، على أن التفوق أو الضعف لدى أحد الجانبين ليس مطلقا فى الوقت الحاضر ، بل هو نسبى . فان اليابان تملك زمام التفوق بفضل قوتها الجبارة فى المجالات العسكرية والاقتصادية والتنظيمية السياسية مقابل ضعفنا فى هذه المجالات ، مما أوجد ركيزة لتملكها زمام المبادرة . ولكن هذا التفوق قد نقص من جراء تناقضاتها الخاصة ، اذ أن قوتها العسكرية وغيرها ليست بكافية كميا ، وأن عوامل أخرى عديدة لا تلائمها . ثم نقص هذا التفوق مرة أخرى عندما اصطدمت اليابان فى الصين بعوامل مثل فساحة أرضها

وكثرة سكانها وضخامة جيشها ومقاومتها الوطنية الصلبة . وهكذا أصبح تفوق اليابان تفوقا نسبيا على وجه الاجمال ، وأصبحت قدرتها على اظهار مبادرتها والاحتفاظ بها محدودة ، وبالتالى أصبحت هذه المبادرة نسبية أيضا . أما الصين فعلى الرغم من أنها تواجه موقفا حرجا فى الناحية الاستراتيجية ، بسبب رجحان كفة القوى عليها ولكنها متفوقة على اليابان من حيث فساحة الأرض ووفرة السكان والجنود ، وكذلك من حيث ما يكنه الشعب والجيش من حقد لعدو الوطن وما يتمتعان به من معنويات عالية ، وهذا النوع من التفوق مع عوامل مؤاتية أخرى قد قلل من ضعف الصين فى القوة العسكرية والاقتصادية وغيرها ، وجعله ضعفا نسبيا فى الناحية الاستراتيجية ، وبالتالى خفف لها من حرج الموقف ووضعها فى حرج نسبى فى الناحية الاستراتيجية فقط . ولكن حرج الموقف ، على كل حال ، ضار بنا ، فينبغى أن نبذل أقصى الجهود للتخلص منه . والسبيل الى ذلك هو ، من الوجهة العسكرية ، أن نقوم بكل عزم بالعمليات الهجومية السريعة فى الخط الخارجى ، وأن نطور حرب العصابات فى مؤخرة العدو ،وأن ننتزع التفوق الجزئى الساحق والمبادرة الجزئية خلال حملات عديدة فى الحرب المتحركة وحرب العصابات ، وبفضل تزايد هذا التفوق والمبادرة الجزئيين فى الحملات سوف نستطيع أن نحصل شيئا فشيئا على التفوق والمبادرة على الصعيد الاستراتيجى ، ونتخلص من الضعف والحرج استراتيجيا . تلك هى العلاقة المتبادلة بين المبادرة والحرج وكذلك بين التفوق والضعف .

٨١ ــ ومن هنا يمكن أن نفهم أيضا العلاقة القائمة بين المبادرة أو الحرج وبين القيادة الذاتية للحرب . فان ضعفنا وحرجنا النسبيين على الصعيد الاستراتيجى يمكن ، كما قلنا آنفا ، الخلاص منهما ، والطريق هو أن نعمل للحصول على كثير من التفوق والمبادرة الجزئيين بحيث ننتزع الكثير من تفوق العدو ومبادرته الجزئيين حتى نلقى به فى موقع الضعف والحرج . وسوف تسفر

هذه النجاحات الجزئية عن تفوقنا ومبادرتنا استراتيجيا من ناحية ، وعن ضعف العدو وحرجه استراتيجيا من ناحية أخرى . وامكان هذا التحول يتوقف على القيادة الذاتية الصحيحة . لماذا ؟ لأن العدو يسعى الى التفوق والمبادرة مثلما نسعى اليها ، والحرب ، فى هذا المعنى ، مباراة فى القدرة الذاتية تجرى بين قواد كل من الجيشين المتحاربين على كسب التفوق والمبادرة ، على أساس الظروف المادية القائمة مثل القوة العسكرية والموارد المالية وغيرها . ومن هذه المباراة يخرج أحد الفريقين غالبا والآخر مغلوبا ، وباستثناء الظروف المادية الموضوعية ، فمن المؤكد أن الغالب لا يغلب خصمه الا بقيادته الذاتية الصحيحة ، وأن المغلوب لا يغلب عليه الا بسبب قيادته الذاتية الخاطئة . ونحن نعترف بأن ظاهرة الحرب هى أكثر تقلبا والتباسا من أية ظاهرة اجتماعية أخرى ، أى أنها ترتدى طابع « الاحتمال » أكثر . ولكن الحرب ليست شيئا فوق الطبيعة ، وانما هى حركة حتمية فى عالمنا ، وعلى ذلك فان قاعدة سون ووتسى : « اذا كنت على بينة من أمرعدوك وأمر نفسك فلن تنهزم فى أى معركة تخوضها » (٢٣) لا تزال حقيقة علمية . ان الأخطاء تنشأ عن جهل المرء بذاته وبالعدو ، وفضلا عن ذلك فان خصائص الحرب هى الأخرى لا تتيح للمرء فى حالات كثيرة أن يعرف نفسه ويعرف العدو معرفة تامة ، مما يؤدى به الى معرفة غير أكيدة للموقف العسكرى والعمليات العسكرية ، ومن ثم يؤدى به الى الأخطاء والهزائم . ولكن مهما كان الموقف العسكرى والعمليات العسكرية فى حرب من الحروب ، يمكن أن نتعرف على أوجهها العامة وسماتها الأساسية . ويمكن للقائد أن يقلل أخطاءه ويحقق قيادة صحيحة عموما ، بواسطة وسائل الاستطلاع المختلفة أولا ثم بواسطة استنتاجه السديد وحكمه الصائب . واذا ما تسلحنا بـ « القيادة الصحيحة عموما » استطعنا أن نحقق مزيدا من الانتصارات ونحول ضعفنا الى تفوق والحرج الى مبادرة . وتلك هى العلاقة بين المبادرة أو الحرج

وبين القيادة الذاتية الصحيحة أو الخاطئة .

٨٢ — ان القيادة الذاتية الصحيحة أو الخاطئة لها تأثير فى تحويل الضعف الى تفوق والحرج الى مبادرة أو بالعكس . وسيزداد هذا وضوحا بعد ما ننظر الى بعض الأمثلة التاريخية من الهزائم التى منيت بها جيوش قوية كبيرة العدد ، ومن الانتصارات التى أحرزتها جيوش ضعيفة قليلة العدد . وما أكثر الأمثلة من هذا النوع فى تواريخ الصين والبلدان الأخرى . واليكم أمثلة فى تاريخ الصين: موقعة تشينغبو بين مملكة جين ومملكة تشو (٢٤) ، وموقعة تشنغقاو بين مملكة تشو ومملكة هان (٢٥) ، والموقعة التى دمر هان شين خلالها جيوش مملكة تشاو (٢٦) ، وموقعة كونيانغ بين مملكة شين ومملكة هان (٢٧) ، وموقعة قواندو بين يوان شاو وتساو تساو (٢٨) ، وموقعة تشيبى بين مملكة وو ومملكة وى (٢٩) ، وموقعة ييلينغ بين مملكة وو ومملكة شو (٣٠) ، وموقعة فيشوى بين مملكة تشين ومملكة جين (٣١) . . الخ . واليكم أمثلة أخرى فى البلدان الأجنبية : معظم حملات نابليون (٣٢) والحرب الأهلية السوفياتية بعد ثورة أكتوبر . وفى كل من هذه المواقع جابه جيش صغير ضعيف جيشا كبيرا متفوقا فانتصر عليه . وفى كل مرة كان الجيش الضعيف يستغل فى بداية الأمر تفوقه ومبادرته الجزئيين ضد ضعف العدو وحرجه الجزئيين ويشن عليه معركة ظافرة يضرب بعدها أقساما أخرى من قوات العدو ويسحق كلا منها على حدة ، الى أن ينتزع التفوق والمبادرة فى الوضع العام . أما العدو الذى كان يملك زمام التفوق والمبادرة فيسير أمره على نحو معاكس ، فبسبب أخطائه الذاتية وتناقضاته الداخلية يفقد تماما التفوق والمبادرة الممتازين أو الجيدين نسبيا ، ويصير قائدا انهزم جيشه أو ملكا ضاعت مملكته . وهكذا فهمنا أن التفوق أو الضعف فى القوى الحربية يشكل الأساس الموضوعى للمبادرة أو الحرج ولكنهما ، مع ذلك ، لا يأتيان بمبادرة أو حرج واقعيين ، لأنهما لا يظهران الى

الوجود الا بعد أن يجرى النضال والمباراة فى القدرة الذاتية . وبسبب صحة القيادة الذاتية أو خطئها ، يمكن فى مجرى النضال أن يتحول الضعف الى تفوق والحرج الى مبادرة ، أو العكس بالعكس . وعجز كل أسرة ملكية حاكمة عن قهر الجيوش الثورية ، يبين أن مجرد التمتع بنوع من التفوق لا يكفى لضمان المبادرة ، فضلا عن ضمان النصر النهائى . فان المبادرة والنصر يمكن أن ينتزعهما الطرف الذى يكون فى ضعف وحرج من يد الطرف الذى يملك زمام التفوق والمبادرة ، بعد أن يبذل ، وفقا للأوضاع الحقيقية ، نشاطا ذاتيا لتوفير بعض الظروف المعينة .

٨٣ — ان التقدير الوهمى والغفلة يمكن أن يؤديا الى فقدان التفوق والمبادرة . وعلى ذلك ، فان السعى بصورة مخططة الى ايقاع العدو فى التقدير الوهمى وشن الهجمات المباغتة عليه يعتبر وسيلة بل وسيلة هامة بها نحقق تفوقنا وننتزع زمام المبادرة من العدو . وماذا يعنى التقدير الوهمى ؟ « خيل اليه أن أشجار جبل باقونغ كلها جنود » (٣٣) هو مثال عن التقدير الوهمى . أما « القيام بعمليات خداعة فى الشرق لشن الهجوم فى الغرب » فهى احدى الطرق لايقاع العدو فى التقدير الوهمى . وحين يكون تأييد الشعب لنا موفورا بحيث لا تتسرب الأنباء الى معسكر العدو ، كثيرا ما ننجح فى استخدام مختلف الأساليب لخداع العدو ، فنضطره الى اصدار أحكام خاطئة والقيام بأعمال خاطئة مما يوقعه فى وضع صعب يفقد من جرائه التفوق والمبادرة . وهذا بالذات ما يقصد بالقول المأثور : « الحرب خدعة » . ثم ما معنى الغفلة ؟ انها تعنى حالة عدم الاستعداد . ان التفوق بدون استعداد ليس تفوقا حقيقيا ولا يمكن من المبادرة . وبوسع قوات ضعيفة تدرك هذه الحقيقة ، اذا كانت مستعدة ، أن تشن فى كثير من الأحيان هجمات مفاجئة على عدو متفوق عليها وتهزمه . نقول انه من السهل توجيه الضربات الى العدو أثناء زحفه ، ذلك لأنه يكون حينئذ فى

غفلة ، أى فى حالة عدم الاستعداد . ان هاتين الطريقتين — ايقاع العدو فى التقدير الوهمى وشن الهجمات على العدو فى غفلته تتلخصان فى أن نحمل العدو على التصرف على أساس معرفة غير أكيدة فى الوقت الذى نؤمن فيه لأنفسنا أكبر قدر ممكن من المعرفة الأكيدة لكى نكسب التفوق والمبادرة ونكسب النصر . وتنظيم الجماهير جيدا هو الشرط المسبق لكل ذلك . وهكذا أصبح من المهم جدا أن نعبئ جميع أبناء الشعب المناوئين للعدو ونسلحهم جميعا ليشنوا على العدو غارات واسعة ويمنعوا فى الوقت نفسه تسرب الأنباء الى معسكره ويستروا قواتنا حتى لا يستطيع العدو أن يعرف أين ومتى ستوجه قواتنا اليه الضربات ، فنضع بذلك الأسس الموضوعية لايقاع العدو فى التقدير الوهمى والغفلة . وفى مرحلة حرب الثورة الزراعية ، كان الجيش الأحمر الصينى ، مع صغره وضعفه ، ينتصر فى المعارك دائما وكان الفضل الكبير فى ذلك يعود الى دعم الجماهير الشعبية المنظمة والمسلحة . ومن المنطقى أن تحظى الحرب الوطنية من جماهير الشعب الغفيرة بتأييد أعظم مما حظيت به الحرب الثورية الزراعية ، ولكن بسبب الأخطاء المرتكبة فى الماضى (٣٤) بقيت الجماهير الشعبية غير منظمة ، فيصعب علينا أن ندفعها فورا الى مساعدتنا فى حين نجد العدو يستفيد منها فى كثير من الأحيان . ان تعبئة جميع الجماهير الشعبية تعبئة واسعة حازمة هى وحدها التى سوف تقدم لنا موارد لا تنضب لتلبية جميع حاجات الحرب ، ثم انها ستلعب ، بكل تأكيد ، دورا كبيرا فى تطبيق أسلوبنا القتالى الرامى الى قهر العدو عن طريق ايقاعه فى التقدير الوهمى واستغلال غفلته . ولسنا كالأمير شيانغ حاكم مملكة سونغ ، فلا حاجة لنا الى تلك المروءة البلهاء (٣٥) ، انما نريد أن نعصب عينى العدو ونسد أذنيه قدر المستطاع حتى يصير أعمى وأصم ، وأن نطيش عقل قائده قدر المستطاع حتى يصير مجنونا ، ونسعى بذلك الى احراز النصر . تلك هى العلاقة بين المبادرة أو الحرج من جهة والقيادة

الذاتية للحرب من جهة أخرى . ونحن لا نستغنى عن مثل هذه القيادة الذاتية فى سبيل قهر اليابان .

٨٤ — ان اليابان تتمتع بالمبادرة على وجه العموم فى مرحلة هجومها ، بفضل قوتها العسكرية واستفادتها من أخطائنا الذاتية الماضية والحالية . بيد أن مبادرتها هذه أخذت تضعف بصورة جزئية لما يلازمها من عوامل عديدة غير ملائمة وبسبب الأخطاء الذاتية التى ارتكبتها فى أثناء الحرب (سنناقشها مفصلا فيما بعد) ، وكذلك بسبب عوامل كثيرة فى صالحنا . وان الهزيمة التى منى بها العدو فى تايرتشوانغ والمأزق الذى وقع فيه فى شانشى هما براهنان دامغان على ذلك . ثم ان تطور حرب العصابات الواسع فى مؤخرة العدو سيوقع حامياته فى المناطق المحتلة فى حرج محكم . وعلى الرغم من أن العدو ما زال يواصل هجومه الاستراتيجى محتفظا بالمبادرة ، الا أنه سوف يفقد المبادرة مع توقف هجومه . ان نقص قواته لن يتيح له مواصلة هجومه الى ما لا نهاية ، وهذا هو السبب الأول فى عجزه عن الاحتفاظ بالمبادرة باستمرار . والسبب الثانى هو أن عملياتنا الهجومية فى الحملات وحرب العصابات التى نشنها فى مؤخرة العدو سوف تجبره مع عوامل أخرى على ايقاف هجومه عند حد معين وتحرمه امكان الاحتفاظ بالمبادرة . والسبب الثالث هو وجود الاتحاد السوفياتى وما يطرأ على الوضع الدولى من تبدلات . ويتبين من ذلك أن مبادرة العدو محدودة ، وتعطيلها أمر ممكن . فاذا تمسكت الصين بأسلوب العمليات الهجومية التى تشنها قواتها النظامية فى الحملات والمعارك واذا هى طورت حرب العصابات فى مؤخرة العدو بصورة عنيفة ، وعبأت الجماهير الشعبية تعبئة واسعة فى الميدان السياسى ، فان فى استطاعتها أن تظفر بالمبادرة الاستراتيجية شيئا فشيئا .

٨٥ — الآن نتناول موضوع المرونة . ما المرونة ؟ هى شيء نحقق به للمبادرة فعلا فى العمليات العسكرية ، هى المرونة فى استخدام القوات . ان

استخدام القوات بمرونة هو مهمة مركزية فى قيادة الحرب ، وهو أيضا أصعب المهمات . واذا صرفنا النظر عن مهمات مثل تنظيم القوات وتثقيفها وتنظيم الشعب وتثقيفه ، ألفينا أن قيادة الحرب ليست سوى استخدام القوات فى المعركة ، وهدف كل هذه المهمات هو ضمان النصر فى المعركة . ولا جدال أن تنظيم القوات وما شاكله أمر صعب ، ولكن الأصعب هو استخدامها فى المعركة ولا سيما عندما نواجه عدوا أقوى منا . ان انجاز هذه المهمة يتطلب مقدرة ذاتية جبارة ويتطلب التغلب على ما تتميز به الحرب من خصائص مثل الفوضى والغموض والمعرفة غير الأكيدة ، والاهتداء الى النظام والوضوح والمعرفة الأكيدة ، وعلى هذا النحو يمكن تحقيق المرونة فى قيادة الحرب .

٨٦ — ان المبدأ الأساسى للعمليات فى ساحات حرب المقاومة ضد اليابان هو القيام بالعمليات الهجومية السريعة فى الخط الخارجى . وهناك ضروب من التكتيكات أو الأساليب لتطبيق هذا المبدأ : توزيع القوات وحشدها ، والتقدم من عدة اتجاهات لشن هجوم مركز على هدف واحد ، والهجوم والدفاع ، والهجمات المباغتة والعمليات الهادفة الى تقييد تحركات العدو ، والتطويق والالتفاف ، والتقدم والتراجع . . الخ . وفهم هذه التكتيكات سهل ، لكن ليس من السهل تطبيقها وتنويعها بمرونة . وفى هذا المجال ينبغى أن توضع فى الاعتبار ثلاثة عوامل رئيسية : الزمان والمكان والوحدات المحاربة . وبدون اختيار زمان مناسب ومكان مناسب ووحدة مناسبة يستحيل النصر . فاذا هاجمنا ، على سبيل المثال ، عدوا يزحف ، قبل الأوان المناسب ، انكشفنا أمام العدو وأعطيناه فرصة يتخذ فيها الاجراءات الوقائية ، أما اذا هاجمناه بعد فوات الأوان المناسب ، فان العدو سيكون قد أوقف زحفه وتجمع وحينئذ ستصبح عملية هجومنا أشبه بمن يمضغ عظما صلبا . هذا ما يتعلق باختيار الزمان . واذا اخترنا نقطة الهجوم فى ميسرة العدو ، وهى بالضبط موضع ضعفه ، صار النصر

سهل المنال ، أما اذا اخترناها فى ميمنته حيث نصادف موضع قوته ، فقد تعذر النجاح . وهذا ما يتعلق باختيار المكان . ثم اننا اذا اخترنا وحدة محاربة معينة لانجاز مهمة معينة كان النصر سهلا ، أما اذا اخترنا وحدة أخرى لانجاز المهمة عينها فقد أصبح من الصعب تحقيق النجاح . وهذا ما يتعلق باختيار الوحدات المحاربة . ولا يكفينا تطبيق التكتيكات ، بل يجب علينا فوق ذلك أن نحسن فى تنويعها . انه لمهمة هامة ، بالنسبة الى القيادة المرنة ، أن تستبدل الدفاع بالهجوم أو الهجوم بالدفاع ، والتراجع بالتقدم أو التقدم بالتراجع ، وقوات الصدام بقوات التجميد أو قوات التجميد بقوات الصدام ، والالتفاف بالتطويق أو التطويق بالالتفاف ونحو ذلك ، أن نمارس هذا الاستبدال فى الزمن المناسب بصورة صحيحة حسب أوضاع قوات الطرفين ووضع الأرض فى مواقع الطرفين . وما ينطبق على قيادة المعارك ينطبق كذلك على قيادة الحملات وعلى للقيادة الاستراتيجية .

٨٧ — يقول المثل القديم : « ان براعة التصرف فى الرأس المدبر » ، وهذه « البراعة » هى ، على حد تعبيرنا ، المرونة ، وهى ثمرة فطنة القائد . المرونة ليست بطيش ، والطيش يجب نبذه . انما المرونة هى موهبة القائد الفطن وقدرته على « حسن التقدير للموقف » (يقصد بـ "الموقف" موقف العدو وموقف قواتنا وطبيعة الأرض . . الخ) على ضوء الأحوال الموضوعية واتخاذ التدابير الملائمة فى الوقت المناسب . وهذا ما نعنى به « براعة التصرف » . وبالاعتماد على هذه البراعة سوف نتمكن من احراز انتصارات أكثر فى العمليات الهجومية السريعة فى الخط الخارجى ، ومن التحول من الضعف الى تفوق ، ومن انتزاع زمام المبادرة من العدو ، ومن التغلب عليه وسحقه ، وعندئذ يتم لنا النصر النهائى .

٨٨ — لنأت الآن الى موضوع التخطيط . بسبب عدم امكان معرفة الحرب معرفة

أكيدة — وهذا مما تتميز به الحرب — يكون تحقيق التخطيط فى الحرب أصعب بكثير من تحقيقه فى أى نشاط آخر . بيد أنه لا يمكن احراز نصر فى الحرب دون تخطيط واستعداد مسبقين ، اذ أن « الاستعداد فى جميع الأمور يضمن النجاح كما يؤدى عدم الاستعداد الى الفشل » . لا توجد معرفة أكيدة مطلقة بالحرب ولكن مع ذلك يوجد هناك درجة من المعرفة الأكيدة نسبيا ، لأننا نعرف وضعنا معرفة أكيدة نسبيا ، أما معرفة وضع العدو فهى أبعد عن التأكد ، الا أن هناك أمارات يمكن كشفها ، وبوادر يمكن ترقبها ، وظواهر متسلسلة يمكن أن تساعدنا على التفكير ، وكل هذا يشكل ما نسميه بالدرجة المعينة من المعرفة الأكيدة نسبيا التى يمكن أن تتخذ كأساس موضوعى لقيادة الحرب قيادة مخططة . وان تطورات التكنيك الحديث (الأجهزة السلكية واللاسلكية والطائرات والسيارات والسكك الحديدية والبواخر . . الخ) قد زادت من امكانيات تخطيط العمليات العسكرية ، الا أنه من الصعب أن توضع للحرب خطط كاملة وثابتة ، لأن المعرفة الأكيدة فى الحرب هى جد محدودة وعابرة ، بل ستبدل الخطط حسب تطور الحرب (أو حركيتها أو سيرها) ، وتختلف درجات التبدل باختلاف نطاق العمليات العسكرية . فالخطط التكتيكية ، كخطط الهجوم أو الدفاع للتشكيلات الصغيرة أو الوحدات الصغيرة غالبا ما يلزم أن تبدل عدة مرات فى اليوم . أما خطة حملة ، أى خطة عمليات تشكيلات كبيرة ، فهى عموما يمكن أن تكون سارية طوال الحملة ، مع أنه كثيرا ما تبدل بصورة جزئية خلال الحملة بالذات ، وبصورة كلية فى بعض الأحوال . أما الخطة الاستراتيجية فهى ترسم على ضوء الوضع العام للفريقين المتحاربين وتتمتع بدرجة أعظم من الثبات ، لكنها مع ذلك لا تصلح الا لمرحلة استراتيجية محددة ، وينبغى تبديلها حين تدخل الحرب مرحلة جديدة . ان رسم وتبديل الخطة التكتيكية أو خطة الحملة أو الخطة الاستراتيجية يتمان حسب نطاق العمليات والظروف القائمة ، والعملية هذه تشكل حلقة

هامة فى قيادة الحرب ، أى تمثل تطبيقا عمليا لمبدأ المرونة فى العمليات العسكرية أو تمثل براعة التصرف الفعلية . وعلى القواد الذين يسهمون فى حرب المقاومة ضد اليابان ، على جميع المستويات ، أن يولوا اهتماما بالغا لذلك .

٨٩ — يتذرع البعض بحركية الحرب لينكروا قطعا الثبات النسبى للخطة أو السياسة العسكرية وهم يزعمون أن مثل هذه الخطة أو السياسة « ميكانيكية » . ان تلك النظرة نظرة خاطئة . ونحن نقر تماما ، كما قلنا فى المادة السابقة : بما أن الحرب لا تعرف الا معرفة أكيدة نسبيا ، وبما أنها تتطور (أو تتحرك أو تسير) بسرعة ، فان الخطط أو السياسة العسكرية لا يمكن أن تتطبع بغير طابع ثبات نسبى ، ويجب أن نبدلها أو ندخل عليها تعديلات فى الوقت المناسب وفقا لتقلبات الأحوال وتطورات الحرب ، والا أصبحنا من أصحاب النظرة الميكانيكية . ومع ذلك لا يمكن بتاتا أن ينكر المرء ضرورة خطة عسكرية أو سياسة عسكرية ثابتة نسبيا لفترة معينة ، لأن انكار ذلك يعنى أن ينكر كل شيء ، ينكر الحرب وذاته . وبما أن الأوضاع العسكرية والعمليات العسكرية كلتاهما على ثبات نسبى ،ينبغى أن نضفى على الخطة أو السياسة العسكرية الناتجة عنهما طابع الثبات النسبى . واليكم مثلا : لما كان الموقف العسكرى فى شمالى الصين والعمليات التى تقوم بها قوات الجيش الثامن فى وحدات متفرقة ، يتخذ طابع ثبات نسبىفى مرحلة معينة ، فانه من للضرورى تماما أن يضفى طابع الثبات النسبى ، فى هذه المرحلة ، على المبدأ الاستراتيجى لعمليات الجيش الثامن : « القيام من حيث الأساس بحرب العصابات مع عدم التقاعس عن الحرب المتحركة عندما تكون الظروف ملائمة » . وبالقياس الى المبدأ الاستراتيجى يبقى المبدأ المتعلق بالحملات سارى المفعول لمدة قصيرة والمبدأ التكتيكى لمدة أقصر ، بيد أن هذين المبدأين مع ذلك ثابتان لفترة معينة من الزمن . ومن ينكر ذلك لا يعرف كيف يقوم بالحرب فيصبح من أنصار النسبية فى الحرب

لا يستقر على رأى ويتقلب فى استنتاجاته وأحكامه . ولا ينكر أحد أن المبدأ ، وان كان سارى المفعول لفترة معينة فقط ، هو متطور أيضا ، وبدون هذا التطور لا يحدث أن يستبدل مبدأ بمبدأ آخر . بيد أنه تطور محدود لا يتجاوز نطاق العمليات العسكرية المختلفة التى تهدف الى تنفيذ المبدأ ، وليس بتطور يمس جوهر المبدأ ، وبتعبير آخر ، انه تطور كمى لا نوعى . وفى حدود الفترة المشار اليها لا يتطور جوهره اطلاقا ، وهذا هو ما نقصده بالثبات النسبى لفترة معينة . وفى مجرى الحرب الطويل ، حيث يكون التطور مطلقا ، تتصف كل مرحلة منه بثبات نسبى ــ هذا ما نفهمه عن جوهر الخطة أو السياسة العسكرية .

٩٠ ــ بعدما تحدثنا عن الحرب الدفاعية الطويلة الأمد فى الخط الداخلى من الناحية الاستراتيجية والعمليات الهجومية السريعة فى الخط الخارجى فى الحملات والمعارك ، ثم عن المبادرة والمرونة والتخطيط ، يمكننا الآن أن نوجز ذلك ببضع كلمات . ان حرب المقاومة ضد اليابان يجب أن تسير حسب خطة ، وينبغى للخطة الحربية ، أى التطبيق العملى لاستراتيجيتنا وتكتيكنا أن تكون مرنة لتتكيف مع ظروف الحرب . ويجب أن نضع فى الاعتبار كل ما يساعد على تحويل الضعف الى تفوق ، والحرج الى مبادرة ، وذلك لتغيير وضعنا بالنسبة الى العدو . وكل ذلك يجد تعبيرا وتجسيدا فى عملياتنا الهجومية السريعة فى الخط الخارجى فى الحملات والمعارك ، وكذلك فى حربنا الدفاعية الطويلة الأمد فى الخط الداخلى من الناحية الاستراتيجية .

الحرب المتحركة وحرب العصابات والحرب الموقعية

٩١ ــ ان الحرب اذا كان مضمونها عمليات هجومية سريعة فى الخط الخارجى فى الحملات والمعارك ضمن نطاق حرب دفاعية طويلة الأمد فى الخط

الداخلى من الناحية الاستراتيجية ، تتخذ شكل الحرب المتحركة . ان الحرب المتحركة حرب تعمل فيها تشكيلات عسكرية نظامية على طول جبهات ممتدة ومناطق حربية فسيحة لتقوم بعمليات هجومية سريعة فى الخط الخارجى فى الحملات والمعارك ، كما أنها تشتمل على ما يسمى « الدفاع المتحرك » الذى يطبق عند الضرورة لتسهيل العمليات الهجومية ، وكذلك على الهجوم والدفاع الموقعيين اللذين يلعبان دورا مساعدا . وخصائصها هى : استخدام تشكيلات عسكرية نظامية ، واستخدام قوات متفوقة فى الحملات والمعارك ، والطابع الهجومى فى العمليات ، والحركية .

٩٢ — ان الصين مترامية الأطراف كثيرة الجنود ، ولكن جيشها متخلف فى التجهيز والتدريب ، أما العدو فيفتقر الى القوات الكافية ، ولكنه يتمتع بتجهيز وتدريب أفضل . ومما لا يتطرق اليه الشك أنه ينبغى لنا فى هذه الحالة أن نتخذ العمليات المتحركة الهجومية شكلا رئيسيا للعمليات العسكرية ونكمله بالأشكال الأخرى ، بحيث يشكل مجمل العمليات حربا متحركة . وبهذا الصدد يجب أن نعارض نزعة الفرار « التراجع كل التراجع بدون تقدم » . ونعارض فى الوقت نفسه نزعة الاستماتة « التقدم كل التقدم بدون تراجع » .

٩٣ — ومن مزايا الحرب المتحركة حركيتها التى لا تسمح لجيش الميدان أن يتقدم أو يتراجع بخطوات واسعة فحسب ، بل تتطلب منه ذلك أيضا . ولكن ليس من نقطة مشتركة بين هذا وبين فرارية هان فو جيو (٣٦) . الحرب تتطلب ، من حيث الأساس ، افناء العدو والمحافظة على النفس . والغرض من المحافظة على النفس هو افناء العدو ، أما افناء العدو فهو أنجع الوسائل فى المحافظة على النفس . لهذا فان الحرب المتحركة لا تقتصر اطلاقا على التحرك الى الوراء دون التحرك الى الأمام كما يزعم هان فو جيو وأمثاله تبرئة لأنفسهم ، اذ أن مثل هذا « التحرك » هو انكار طابع الحرب المتحركة الأساسى أى ذلك

الطابع الهجومى ، فاذا تحقق هذا « التحرك » بالفعل فان أراضى الصين — مهما كانت واسعة — ستفقد كلها .

٩٤ — على أن الرأى الآخر الذى يسمى بنزعة الاستماتة « التقدم كل التقدم بدون تراجع » ليس صحيحا أيضا . اننا ندعو الى الحرب المتحركة التى تقوم فى خوض العمليات الهجومية السريعة فى الخط الخارجى فى الحملات والمعارك ، وهذه الحرب المتحركة تشتمل على الحرب الموقعية التى تلعب دورا مساعدا ، وتشتمل أيضا على « الدفاع المتحرك » والتراجع ، اذ لا يمكن ، بدون هذه الأشياء ، القيام بالحرب المتحركة بصورة كاملة . ان نزعة الاستماتة هى تعبر عن قصر النظر فى الشؤون العسكرية ، وغالبا ما يكون مردها الى خشية فقدان أراض . وأنصار هذه النزعة لا يعرفون أن احدى مزايا الحرب المتحركة هى حركيتها التى تسمح لجيش الميدان بل تتطلب منه أن يتقدم أو يتراجع بخطوات واسعة . فمن الناحية الايجابية ، كثيرا ما يتطلب الأمر فى سبيل جر العدو الى خوض عمليات مؤاتيـة لنا وغير مؤاتيـة له ، أن يكون العدو زاحفا متحركا وأن تتوفر لنا ظروف أخرى مؤاتية كالأرض المناسبة وعدو يسهل توجيه الضرب اليه والسكان الذين يقدرون على منع تسرب الأنباء واعياء العدو وغفلته . وكل هذا يقتضى أن يتقدم العدو وألا نأسف نحن لفقدان جزء من الأرض موقتا ، لأن ذلك هو الثمن الذى ندفعـه للاحتفاظ بأراضينا دائمـا واسترداد الأراضى المفقودة . أما من الناحية السلبية ، فينبغى لنا ، كلما صرنا — مكرهين — فى وضع غير مؤات يهدد سلامة قواتنا بصورة أساسية ، أن نتراجع فى جرأة للاحتفاظ بقواتنا وتوجيه ضرباتنا الى العدو فى فرص لاحقة . ولكن أنصار نزعة الاستماتة لا يفهمون هذه الحقيقة ، فهم يدافعون دفاع المستميت عن كل مدينة وعن كل قطعة من الأرض مع العلم بأنهم قد وقعوا فى وضع غير ملائم ، فيترتب على هذا الدفاع سقوط المدينة وفقدان الأرض وكذلك عدم الاحتفاظ

بقواتهم . لقد نادينا دائما بسياسة « استدراج العدو ليتغلغل فى أعماق أراضينا » ، ذلك بالضبط لأنها أنجع السياسات العسكرية التى تمكن جيشا ضعيفا من مجابهة جيش قوى فى مرحلة الدفاع الاستراتيجى .

٩٥ — ان الحرب المتحركة هى الشكل الرئيسى بين جميع أشكال العمليات العسكرية فى حرب المقاومة ضد اليابان ، أما حرب العصابات فتأتى فى المرتبة الثانية . ونحن حين نقول ان الحرب المتحركة تلعب دورا رئيسيا فى كل مجرى الحرب وان حرب العصابات تلعب دورا مساعدا ، نقصد بذلك أن مصير الحرب يتوقف بصورة رئيسية على الحرب النظامية ولا سيما على الحرب المتحركة منها ، أما حرب العصابات فلا تقوى على تحمل المسؤولية الرئيسية فى تقرير مصير الحرب . بيد أن ذلك لا يعنى أن حرب العصابات لا تلعب دورا استراتيجيا هاما فى حرب المقاومة . فان دورها الاستراتيجى فى مجرى حرب المقاومة كله يأتى فقط بعد دور الحرب المتحركة ، اذ لا يمكن قهر العدو بدون مساعدة حرب العصابات . اذن ينبثق عن هذا مهمة استراتيجية هى تطوير حرب العصابات الى حرب متحركة . وخلال هذه الحرب الطويلة القاسية لن تبقى حرب العصابات فى حالها ، بل سترتقى الى مستوى الحرب المتحركة . لذا ستلعب حرب العصابات دورها الاستراتيجى فى ناحيتين : أن تدعم العمليات النظامية ، وأن تتحول بذاتها الى حرب نظامية . أما اذا نظرنا الى حرب العصابات فى حرب المقاومة الصينية من حيث انتشارها وطول أمدها اللذين لم يسبق لهما نظير ، فان دورها الاستراتيجى يستوجب منا اهتماما أكثر . لذلك فان حرب العصابات فى الصين ليست لها مسائل تكتيكية فحسب ، بل لها مسائل استراتيجية خاصة أيضا . وقد تكلمت عليها فى مقالتى : « قضايا الاستراتيجية فى حرب العصابات المناهضة لليابان » . لقد قلنا سابقا ان حرب المقاومة سوف تتخذ خلال مراحلها الاستراتيجية الثلاث الأشكال التالية : فى المرحلة الأولى تكون الحرب المتحركة

الشكل الرئيسى ، وحرب العصابات والحرب الموقعية الشكلين المساعدين . وفى المرحلة الثانية سوف ترتقى حرب العصابات لتصبح الشكل الرئيسى بينما تصبح الحرب المتحركة والحرب الموقعية الشكلين المساعدين . وفى المرحلة الثالثة سوف تعود الحرب المتحركة كشكل رئيسى. فى حين تلعب الحرب الموقعية وحرب العصابات دورا مساعدا . بيد أن الحرب المتحركة لن تظل فى المرحلة الثالثة مقتصرة على القوات النظامية الأصلية وحدها ، اذ سوف تضطلع بجزء منها وربما جزء كبير جدا ، قوات العصابات الأصلية التى ستكون فى هذه المرحلة قد ارتقت من مستوى قوات تخوض حرب العصابات الى مستوى قوات تخوض الحرب المتحركة . ان دراسة هذه المراحل الثلاث تثبت أن حرب العصابات فى حرب المقاومة الصينية ضد اليابان ليست أبدا شيئا يمكن الاستغناء عنه ، بل انها سوف تقدم فى تاريخ حروب البشرية فصلا رائعا عظيما لم يسبق له مثيل . لهذا السبب فمن الضرورى تماما أن نخصص ، على الأقل ، مئات الآلاف من القوات النظامية البالغة ملايين الرجال ، ونبثهم فى جميع المناطق التى يحتلها العدو حيث يعبئون الجماهير للتسلح ومن ثم يتعاونون معها فى خوض حرب العصابات . وعلى القوات النظامية التى تكون أفردت لهذا الغرض ، أن تؤدى هذه المهمة المقدسة بوعى ، ولا ينبغى لها أن تعتقد أن منزلتها قد هبطت بسبب أنه لن يتاح لها أن تخوض المعارك الكبرى كثيرا فلا تستطيع ، لمدة من الزمن ، أن تبرز فى عداد الأبطال الوطنيين ، اذ أن هذه الفكرة خاطئة . ان حرب العصابات ليست كمثل الحرب النظامية التى تحقق النتائج السريعة وتتمتع بالصيت الذائع ، ولكن كما يقول المثل « فى الرحلة الطويلة تعرف قوة الجواد ، وفى الاختبار الطويل يعرف قلب الانسان » ، سوف تظهر حرب العصابات جبروتها الهائل خلال الحرب الطويلة الأمد البالغة القساوة وهى ليست ، بالتأكيد ، قضية عادية . وفضلا عن ذلك ، فانه يمكن للقوات النظامية أن تخوض حرب العصابات حين تتبعثر ،

وتخوض الحرب المتحركة حين تتجمع ، وهكذا يفعل الجيش الثامن . ان المبدأ الموجه للجيش الثامن هو : « القيام من حيث الأساس بحرب العصابات مع عدم التقاعس عن الحرب المتحركة عندما تكون الظروف ملائمة . » وهذا المبدأ صحيح تماما ، وآراء معارضيه خاطئة .

٩٦ – لا تستطيع الصين ، عموما ، فى حالة تجهيزاتها التكنيكية الراهنة ، أن تمارس حربا موقعية ،سواء أكانت دفاعية أم هجومية ، وهذا بالضبط أحد مظاهر ضعفنا . والى جانب ذلك يمكن للعدو أن يستغل سعة أراضينا ليلف متجنبا منشآتنا الدفاعية . ولهذا لا يجوز أن نستخدم الحرب الموقعية كوسيلة هامة ، فضلا عن أن نستخدمها كوسيلة رئيسية . ولكن من الممكن بل من الضرورى ، خلال المرحلتين الأولى والثانية من الحرب ، أن نتخذ ، داخل نطاق الحرب المتحركة ، حربا موقعية على المستوى المحلى تلعب دورا مساعدا فى عمليات الحملات . أما « الدفاع المتحرك » ذو الطابع شبه الموقعى لأجل مقاومة العدو خطا تلو خط بغية انهاكه وكسب متسع من الوقت ، فهو بالأحرى جزء لا يتجزأ من الحرب المتحركة . وينبغى للصين أن تسعى لزيادة أسلحتها الحديثة حتى تستطيع فى مرحلة الهجوم المضاد الاستراتيجى أن تؤدى مهمة الهجوم الموقعى أداء كاملا . ومما لا ريب فيه أن الحرب الموقعية سوف تزداد أهميتها وخطورتها فى هذه المرحلة ، لأن العدو سوف يعتصم حينئذ بمواقعه المحصنة ، فاذا لم نشن عليه الهجوم الموقعى القوى لدعم الحرب المتحركة فسيكون من المستحيل أن نسترد أراضينا المفقودة ، ومع ذلك يجب أن نعمل جهدنا فى المرحلة الثالثة للعودة الى الحرب المتحركة كشكل رئيسى للحرب ، ذلك لأن فن القيادة الحربية ودور الانسان الواعى سوف يتعطل معظمهما فى حرب كالحرب الموقعية التى دارت رحاها فى أوربا الغربية خلال الفترة الأخيرة من الحرب العالمية الأولى . ولكن بما أن الحرب تجرى فى أراضى

الصين الواسعة وأن الصين سوف تبقى متخلفة فى ناحية التكنيك لفترة طويلة جدا ، فمن الطبيعى أن يحدث « اخراج الحرب من الخنادق » . وحتى فى المرحلة الثالثة حين تكون الصين قد سجلت تقدما فى ناحية التكنيك فانه من غير المؤكد أيضا أنها ستتفوق على العدو فى هذه الناحية ، وبالتالى ستضطر الى تطوير الحرب المتحركة الى درجة عالية ، والا فلا تستطيع احراز النصر النهائى . وهكذا فان الصين لن تلجأ ، طوال حرب المقاومة ، الى الحرب الموقعية على اعتبارها الشكل الرئيسى للحرب ، وانما ستكون الحرب المتحركة وحرب العصابات الشكلين الرئيسيين أو الهامين . وفى هذين الشكلين الحربيين سوف نجد مجالا واسعا لاظهار فن القيادة الحربية ودور الانسان الواعى . فيا له من حظ سعيد فى وقت الشدائد !

حرب الانهاك وحرب الابادة

٩٧ — قلنا سابقا ان جوهر الحرب أو هدفها هو المحافظة على النفس وافناء للعدو . وهناك ثلاثة أشكال حربية تصل بنا الى هذا الهدف وهى : الحرب المتحركة والحرب الموقعية وحرب العصابات . بيد أن هذه الأشكال تختلف فعالياتها عندما توضع موضع التطبيق . ولهذا تنقسم الحرب ، عادة ، الى حرب انهاك وحرب ابادة .

٩٨ — قبل كل شىء يمكن القول بأن حرب المقاومة ضد اليابان هى حرب انهاك وحرب ابادة فى آن واحد . لماذا ؟ لأن العدو لا يزال يستفيد من قوته ويحتفظ بالتفوق والمبادرة الاستراتيجيين ، فلا نستطيع نحن أن نقلل من قوته ونحطم تفوقه ومبادرته بصورة فعالة وسريعة ، ما لم نشن عليه حملات ومعارك ابادة . وبما أننا ، من ناحية أخرى ، لم نزل ضعفاء ولم نتخلص بعد من الضعف

والحرج على الصعيد الاستراتيجي ، فلا يمكن أن ننجح ، بدون حملات ومعارك الابادة ، فى كسب الوقت و تحسين ظروفنا الداخليـة والعالمية وتغيير وضعنا الحالى غير الملائم . لهذا فان حملات الابادة تعد وسيلة لتحقيق غاية حرب الانهاك من الناحية الاستراتيجية . وحرب الابادة بهذا المعنى هى حرب انهاك . ان الوسيلة الرئيسية التى تمنح الصين امكانية مواصلة حرب طويلة الأمد ، هى انهاك العدو بابادة قواته .

٩٩ — ويمكننا أيضا اللجوء الى حملات انهاك فى سبيل انهاك العدو استراتيجيا . وعلى العموم ، تقوم الحرب المتحركة بمهمة ابادة العدو ، والحرب الموقعية بمهمة انهاك العدو ، وحرب العصابات بمهمة الانهاك ومهمة الابادة معا ، وهكذا تتباين هذه الأشكال الثلاثة مع بعضها . وبهذا المعنى تختلف حرب الابادة عن حرب الانهاك . ان حملات الانهاك تلعب دورا مساعدا ، ولكنها ضرورية فى الحرب الطويلة الأمد .

١٠٠ — لبلوغ الهدف الاستراتيجي الذى هو انهاك العدو الى حد كبير ، ينبغى للصين ، من الوجهة النظرية ووجهة الضرورة العملية على حد سواء ، أن تستخدم فى مرحلة الدفاع عنصر الابادة الذى يتوفر بصورة رئيسية فى الحرب المتحركة ، وبصورة جزئية فى حرب العصابات ، وأن تستخدم على نحو اضافى عنصر الانهاك الذى يتوفر فى الحرب الموقعية بصورة رئيسية ، وفى حرب العصابات بصورة جزئية . كما ينبغى لها فى مرحلة التعادل أن تستخدم عنصرى الابادة والانهاك الموجودين فى حرب العصابات والحرب المتحركة لتنهك العدو الى حد كبير . ان كل ذلك يرمى الى تمكيننا من جعل الحرب طويلة وتغيير وضعنا بالنسبة الى وضع العدو شيئا فشيئا وتهيئة الظروف للهجوم المضاد . وعلينا أن نواصل انهاك العدو بواسطة الابادة خلال الهجوم المضاد الاستراتيجي ، حتى نطرده نهائيا .

١٠١ ــ لكن قد أظهرت تجربة الأشهر العشرة من الحرب أن الحرب المتحركة التى خضناها فى حملات كثيرة بل فى معظم الحملات لم تلعب فى الواقع الا دور حرب الانهاك ، وأن حرب العصابات فى بعض المناطق لم تؤد دورها فى ابادة العدو كما ينبغي . ان لهذا الوضع جانبا ايجابيا هو أن دماءنا لم تهرق عبثا على كل حال ، لأننا أنهكنا العدو انهاكا له أهميته فى مواصلة الحرب الطويلة الأمد واحراز النصر النهائى . كما أن لهذا الوضع جانبين سلبيين : أولا ، أننا لم ننهك العدو بصورة كافية ، ثانيا ، أننا لم نستطع تجنب بعض الخسائر الفادحة فى حين لم نكسب سوى القليل . وعلى الرغم من أنه لا بد من الاعتراف بأن لهذا الوضع أسبابا موضوعية تفسره ، مثل الفوارق بين العدو وبيننا فى مستوى العتاد التكنيكي والتدريب العسكرى ، الا أنه ينبغي لنا ، على كل حال ، أن ندعو ، نظريا وعمليا على حد سواء ، الى أن تسعى قواتنا النظامية سعيا حثيثا الى شن حرب الابادة كلما كانت الظروف ملائمة . أما فصائل العصابات فمع أنها لا تجد بدا من خوض حرب انهاك محضة لأداء المهمات المحددة العديدة مثل التخريب والمناوشات ، ولكن هذا لا يمنعنا أيضا أن ندعوها الى أن تسعى سعيا حثيثا لشن عمليات ابادة فى الحملات والمعارك كلما كانت الظروف ملائمة ، بغية انهاك العدو الى حد كبير وامداد قواتنا على نطاق واسع .

١٠٢ ــ ان ما نسميه بـ « خط خارجى » و« سريعة » و« هجومية » فى عبارة : « العمليات الهجومية السريعة فى الخط الخارجى » وكذلك ما نسميه بـ « متحركة » فى عبارة : « الحرب المتحركة » يعنى بصورة رئيسية ، من حيث شكل القتال ، تطبيق تكتيك التطويق والالتفاف ، وهو لذلك يتطلب تركيز قوات متفوقة . ان تركيز القوات وتطبيق تكتيك التطويق والالتفاف يشكل شرطا ضروريا لممارسة الحرب المتحركة أى العمليات الهجومية السريعة فى الخط الخارجى . وكل ذلك يهدف الى ابادة العدو .

١٠٣ — ان مزايا الجيش اليابانى لا تتجلى فى أسلحته فحسب ؛ بل فى تدريب ضباطه وجنوده — مستوى التزامه بالنظام ، وثقته بنفسه الناشئة عن أنه لم يعرف الهزيمة قط فى الحروب السابقة ، وايمانه الخرافى بالامبراطور اليابانى وبالقوى الغيبية ، وغطرسته واعتداده بالنفس وازدرائه للصينيين ، وجميع هذه الصفات ناتجة عن تربية الجنود بالروح العسكرية ، التى طبقها أمراء الحرب اليابانيون طوال سنين عديدة ، وعن عادات اليابان القومية . وهذا هو السبب الرئيسى فى أننا استطعنا أن ننزل بقواته خسائر فادحة من القتلى والجرحى ولكن لم نأسر من رجالها الا عددا قليلا . بيد أن كثيرا من الناس كانوا يستخفون بهذه الحقيقة فى الماضى . وسوف تكون ازالة صفات الجيش اليابانى هذه عملية طويلة . فيجب علينا ، أولا ، أن نولى ذلك اهتمامنا ، ثم نعمل على ازالة هذه الصفات بصبر وتخطيط فى مجالات العمل السياسى والدعاية الخارجية والحركة الشعبية اليابانية ، ثم ان حرب الابادة فى المجال العسكرى تعتبر أيضا أحد أساليب هذا العمل . وهنا يمكن للمتشائمين أن يجدوا فى هذه الحقيقة حجة ينحدرون بها الى نظرية سقوط الصين ، كما يمكن للخبراء العسكريين السلبيين أن يجدوا فيها ما يدعم معارضتهم لحرب الابادة . أما نحن فعلى عكس ذلك ، اذ نعتقد أن جميع هذه المزايا التى يتمتع بها الجيش اليابانى يمكن تخريبها ، وفعلا قد بدأت عملية هذا التخريب . والأسلوب الرئيسى لتحقيق هذه الغاية يقوم على كسب الجنود اليابانيين سياسيا . فلا ينبغى أن نجرحهم فى كبريائهم ، بل من الأحرى أن نفهم تلك الكبرياء ونوجهها فى الطريق القويم ، وبمعاملتنا الأسرى معاملة حسنة يمكننا أن نصل بالجنود اليابانيين الى ادراك السياسة العدوانية التى ينهجها الحكام اليابانيون ضد الشعب . ومن جهة أخرى ، علينا أن نظهر للعساكر اليابانيين ما يملكه الجيش الصينى والشعب الصينى من روح الاباء والقدرة على القتال البطولى الصلب ، وبتعبير آخر ، علينا أن نضربهم فى عمليات

الابادة . لقد أثبتت تجربة الأشهر العشرة من الحرب أن ابادة قوات العدو أمر ممكن والدليل القاطع على ذلك حملة ممر بينغشينغقوان وحملة تايرتشوانغ . لقد بدأت معنويات الجيش اليابانى تتضعضع ، وجنوده لا علم لهم بغرض الحرب ، وهم قد وقعوا فى حصار الجيش الصينى والشعب الصينى ، وصارت شجاعتهم على الانقضاض والاقتحام أقل بكثير من شجاعة الجنود الصينيين ، وهلم جرا ، وكل هذه الأحوال الموضوعية مؤاتية لنا فى شن عمليات الابادة ، وهى سوف تتطور يوما بعد يوم مع امتداد أمد الحرب . ان عمليات الابادة من شأنها أن تضعف بأس القوات المعادية وتكسر شوكتها ، فهى بهذا المعنى تشكل عاملا من العوامل فى اختصار مدة الحرب والاسراع فى تحرير جنود اليابان وشعبها . فالهر يصادق هرا ولا يمكن أبدا أن يصادق فأرا .

١٠٤ — ومن جهة أخرى ، ينبغى لنا الاعتراف بأننا متخلفون ، فى الوقت الراهن ، عن العدو فى العتاد التكنيكى والتدريب العسكرى . ولهذا يصعب علينا ، فى حالات كثيرة ولا سيما فى المعارك الدائرة فى مناطق السهول ، أن نبيد العدو الى أقصى حد كأسر قوة معادية بكاملها أو أسر القسم الأكبر منها . وفى هذا الصدد أثار دعاة نظرية للنصر العاجل مطالب مفرطة وهى بطبيعة الحال خاطئة . انما المطلب الصحيح فى حرب المقاومة ضد اليابان ينبغى أن يكون : القيام بحرب الابادة قدر الامكان . وينبغى لنا ، كلما كانت الظروف ملائمة ، أن نحشد فى كل معركة قوات متفوقة ونستخدم تكتيك التطويق والالتفاف — اذا لم نستطع تطويق القوة المعادية كلها فلنطوق قسما منها على الأقل ، واذا لم نستطع أسر القوة المطوقة كلها فلنأسر قسما منها على الأقل ، واذا لم نستطع حتى أسر هذا القسم فلنكبده خسائر فادحة من القتلى والجرحى على الأقل . وفى جميع الحالات التى لا يلائم الوضع فيها عمليات الابادة ، ينبغى القيام بعمليات الانهاك . وينبغى أن يطبق مبدأ حشد القوات فى عمليات الابادة ،

ومبدأ توزيع القوات فى عمليات الانهاك . وفيما يتعلق بالعلاقة بين القيادات خلال الحملات ، ينبغى أن يطبق مبدأ القيادة الممركزة فى عمليات الابادة ، ومبدأ القيادة الغير ممركزة فى عمليات الانهاك . هذه هى المبادئ الأساسية للعمليات فى ميادين حرب المقاومة ضد اليابان .

امكانية استغلال أخطاء العدو

١٠٥ ــ ان العدو يمكن قهره ، ونستطيع أن نعثر على أسباب هذه الامكانية حتى فى القيادة المعادية . لم يعرف التاريخ قط منذ أقدم الأزمنة قائدا عسكريا معصوما من الخطأ ، ومثلما يصعب علينا نحن تفادى بعض الأخطاء ، يمكن أن نكشف أخطاء العدو ، ولذلك فان امكانية استغلالها موفورة . لقد ارتكب العدو ، خلال هذه الأشهر العشرة من الحرب العدوانية ، أخطاء كثيرة فى الناحية الاستراتيجية وفى الحملات . ولن نذكر منها الا خمسة أخطاء كبرى : الخطأ الأول هو أن العدو لا يزيد قواته الا شيئا فشيئا ، وسبب ذلك أنه استخف بشأن الصين وأنه لا يملك قوات كافية . ان العدو ينظر الينا بازدراء دائما ، وبعد أن ابتلع المقاطعات الشمالية الشرقية الأربع بدون عناء كبير ، استولى على شرقى مقاطعة خبى ، وشمالى مقاطعة تشاهار ، وكل ذلك يمكن اعتباره استكشافا استراتيجيا من قبله . والاستنتاج الذى استخلصه من ذلك أن الصين كومة من الرمال . وهكذا ظن أن الصين ستنهار من الضربة الأولى ، ومن ثم رسم خطة « حسم سريع » ، وألقى فى ميدان القتال بالقليل جدا من القوات ، محاولا بذلك أن يأخذنا بالخوف . ولم يكن يتوقع العدو أن تظهر الصين خلال الأشهر العشرة مثل هذه الوحدة العظيمة وهذه القوة الهائلة فى المقاومة ، كما أنه قد نسى هذه النقطة ، ألا وهى أن الصين دخلت فى

مرحلة تقدم وأنه قد أصبح فيها حزب طليعي وجيش متقدم وشعب متقدم . وعندما واجه العدو صعوبات أخذ يزيد قواته شيئا فشيئا ومرة بعد أخرى حتى رفعها من أكثر من عشر فرق الى ثلاثين فرقة . واذا أراد أن يواصل تقدمه ، فلا بد له من زيادة قواته باستمرار . ولكن بما أن اليابان تقف موقفا عدائيا من الاتحاد السوفياتي وأن مواردها البشرية والمالية محدودة ، لا يمكن أن تتجاوز حدا معينا فى عدد القوات التى يمكنها أن ترسلها وكذلك لأقصى مدى لهجومها. الخطأ الثانى هو عدم تحديد الاتجاه الرئيسى للهجوم . وقبل حملة تايرتشوانغ قسم العدو قواته قسمين متساويين تقريبا على جبهتين : الصين الوسطى والصين الشمالية ، ثم قسم كلا من هذين القسمين بنفس الطريقة . ففى الصين الشمالية مثلا ، كانت قواته موزعة ، بصورة متساوية ، على طول خطوط السكك الحديدية الثلاثة : تيانجين — بوكو ، وبيبينغ — هانكو ، وداتونغ — بوتشو ، ولما خسر بعضها على كل من هذه الخطوط وترك بعضها الآخر كحاميات فى الأراضى المحتلة ، لم يبق لديه قوات لمواصلة الهجوم . وبعد أن أفاد من عبرة هزيمته فى حملة تايرتشوانغ ركز قواته الرئيسية فى اتجاه شيوتشو ، وهكذا يمكن اعتبار أن هذا الخطأ قد أصلح موقتا . الخطأ الثالث هو انعدام التنسيق الاستراتيجى . لقد كان التنسيق موجودا ، على وجه الاجمال ، داخل كل من مجموعة القوات اليابانية فى الصين الشمالية ومجموعة القوات اليابانية فى الصين الوسطى ، ولكن لم يكن هناك أى تنسيق بينهما . فحين قامت القوات اليابانية الموجودة فى القسم الجنوبى من سكة حديد تيانجين — بوكو بمهاجمة شياوبانبو ، امتنعت القوات الأخرى التى كانت فى قسمها الشمالى عن التحرك ، وحين هاجمت هذه الأخيرة تايرتشوانغ لم تتحرك القوات الأولى أيضا . وعندما منى العدو بنكسات فى هذين القطاعين ، جاء وزير الحربية اليابانية للقيام بجولة تفقدية وهرع رئيس هيئة أركان الحرب العامة ليتولى قيادة العمليات ، وهكذا ظهر شيء من التنسيق

لبعض الوقت . ان هناك تناقضات خطيرة جدا بين طبقة ملاك الأراضى والبرجوازية وأمراء الحرب فى اليابان ، ولا تنفك هذه التناقضات فى تفاقم ، وانعدام التنسيق فى العمليات الحربية ظاهرة من الظواهر الحسية لذلك . الخطأ الرابع هو أن العدو فوت على نفسه فرصا استراتيجية ملائمة . وأوضح مثال على ذلك هو أن العدو توقف فى مكانه بعد استيلائه على كل من نانكين وتاى يوان ، والسبب الرئيسى فى ذلك يرجع الى نقصه فى القوات فلم تكن لديه قوات للمطاردة الاستراتيجية . والخطأ الخامس هو أن العدو طوق عددا كبيرا من قواتنا ولكن لم يبد منها الا القليل . وقبل حملة تايرتشوانغ هزم العدو كثيرا من قواتنا ولكن لم يأسر منها الا القليل ، خلال حملات شانغهاى ونانكين وتسانغتشو وباودينغ ونانكو وشينكو ولينفن ، وهذا يظهر عجز قيادته . ان هذه الأخطاء الخمسة – زيادة القوات شيئا فشيئا ، وانعدام اتجاه رئيسى للهجوم ، وانعدام التنسيق الاستراتيجى ، وتفويت فرص استراتيجية ملائمة ، وضعف نسبة القوات المبادة من بين العدد الكبير من القوات المطوقة – تدل على عدم كفاءة القيادة اليابانية فى الفترة التى سبقت حملة تايرتشوانغ ، أما بعد الحملة ، فعلى الرغم من أن العدو قد صحح أخطاءه بعض الشىء ، الا أنه يستحيل عليه ألا يقع ثانيا فى الأخطاء بسبب نقص القوات المسلحة لديه وتناقضاته الداخلية ، وعوامل أخرى . ثم ان ما يكسبه هنا يفقده هناك . ومثال ذلك أن العدو حشد قواته الخاصة بالصين الشمالية ، فى شيوتشو ، فأحدث ذلك فراغا كبيرا فى المناطق المحتلة من الصين الشمالية ، الأمر الذى أتاح لنا أن نطور فيها حرب العصابات بحرية . ان الأخطاء المذكورة كلها أخطاء ارتكبها العدو بنفسه ، وليست بأخطاء دفعناه نحن الى ارتكابها . ونحن من جانبنا نستطيع أن ندفع العدو عن عمد ، الى ارتكاب أخطاء ، أى يمكننا أن نضلله ونستدرجه الى فخنا بفضل تصرفات بارعة ناجحة وتحت تغطية الجماهير الشعبية المنظمة كالقيام بعمليات خداعة فى الشرق لشن الهجوم فى الغرب ،

وما شاكل ذلك . وهذه الامكانية قد تحدثنا عنها سابقا . كل ذلك يدل على أننا نستطيع أن نجد فى أعمال القيادة المعادية مادة لانتصارنا ، ولكن ينبغى لنا ألا نعتبر ذلك أساسا هاما لخطتنا الاستراتيجية . وبالعكس ، يكون من الأضمن أن نضع خطتنا على أساس افتراض أن العدو سوف يرتكب القليل من الأخطاء . و بالاضافة الى ذلك ، يمكن للعدو أن يستغل أخطاءنا مثلما نستغل نحن أخطاءه . ولذا يكون أيضا من واجبنا فى القيادة أن نتفادى أكبر قدر ممكن من الأخطاء التى تتيح للعدو استغلالها . غير أن القيادة المعادية قد ارتكبت الأخطاء بالفعل ، وسترتكبها أيضا فى المستقبل ، بل يمكننا أن ندفعها بمجهوداتنا الخاصة الى ارتكاب الأخطاء ، وجميع هذه الأخطاء يمكننا استغلالها ، لذلك ينبغى لقادة حرب المقاومة أن يجهدوا لاستغلالها . وليس لقيادة العدو ، على الصعيد الاستراتيجى وفى الحملات ، كفاءة فى كثير من النواحى ، ولكنها تتمتع بنصيب لا بأس به من البراعة فى قيادة المعارك ، أى فى تكتيك قتال الوحدات والتشكيلات الصغيرة ، وينبغى لنا أن نتعلم منه فى هذا المجال .

مسألة القتال الحاسم فى حرب المقاومة ضد اليابان

١٠٦ ــ هذه المسألة ينبغى معالجتها من ثلاثة أوجه : علينا أن نخوض بكل حزم القتال الحاسم فى كل حملة ومعركة يكون النجاح مضمونا فيها ، وعلينا أن نتجنب ذلك فى كل حملة ومعركة يكون نجاحها غير مضمون ، وعلينا أن نتفادى مطلقا القتال الحاسم الاستراتيجى الذى يقامر فيه بمصير البلاد . ان الخصائص التى تميز حرب المقاومة عن غيرها من الحروب الكثيرة تتجلى أيضا فى هذه المسألة . وفى المرحلتين الأولى والثانية من الحرب حيث يكون العدو قويا ونحن ضعفاء ، يريد العدو أن نركز قواتنا الرئيسية لخوض

القتال الحاسم معه . ولكننا ، على العكس ، نريد أن نختار الظروف الملائمة ونركز القوات المتفوقة لخوض القتال الحاسم فى الحملات والمعارك التى يكون نجاحها مضمونا ، مثل معركة ممر بينغشينغقوان ومعركة تايرتشوانغ ومعارك أخرى. ويجب أن نتجنب القتال الحاسم عندما تكون الظروف غير ملائمة لنا ويكون النصر فيه غير مضمون ، وتلك هى السياسة التى اتبعناها فى حملة تشانغده وغيرها . وأما القتال الحاسم الاستراتيجى الذى يقامر فيه بمصير البلاد فيجب رفضه رفضا مطلقا كما فعلنا بجلائنا عن شيوتشو فى الآونة الأخيرة . وهكذا أحبطنا خطة العدو المسماة بخطة « الحسم السريع » ، وأرغمناه على الدخول فى حرب طويلة الأمد معنا . ان هذه السياسة لا يمكن تطبيقها فى بلد ضيق الرقعة ، وكذلك يصعب تطبيقها فى بلد جد متأخر سياسيا . ولكن يمكن تطبيقها فى الصين لأنها بلد كبير يعيش فى مرحلة تقدم . واذا استطعنا أن نتجنب القتال الحاسم الاستراتيجى وحافظنا على قواتنا وفقا لما يقول المثل « ما دامت الغابة باقية فلن نقلق من انعدام الحطب » ، فعلى الرغم من أنه سيترتب على ذلك فقدان جزء من أرضنا ، الا أننا سنظل محتفظين برقعة شاسعة للمناورة ، ويمكننا أن نعجل وننتظر تقدم بلادنا وازدياد المساعدة العالمية والتفكك الداخلى فى معسكر العدو . ان هذه لأفضل سياسة نتبعها فى حرب المقاومة . أما دعاة نظرية النصر العاجل المتسرعون فيعجزون عن تحمل مشقة الطريق للحرب الطويلة الأمد ويحاولون النصر العاجل ، فكلما تحسن الوضع بعض الشىء ، راحوا يثيرون ضجة لخوض القتال الحاسم الاستراتيجى ، واذا طبقت نظريتهم هذه فعلا ألحق ضرر جسيم بحرب المقاومة ، وقضى على الحرب الطويلة الأمد ، ونكون قد وقعنا بذلك فريسة للحيلة الخبيثة التى دبرها العدو . حقا أن ذلك أسوأ سياسة . ولا شك أننا اذا رفضنا القتال الحاسم اضطررنا الى التخلى عن بعض أراضينا ، وعندما يكون ذلك حتميا (عند ذلك فقط) ، لا يسعنا الا أن نتخلى عنها بجرأة .

وعندما تتطلب منا الظروف أن نفعل ذلك ينبغى ألا نبدى أدنى تردد لأن اعطاء بعض الأراضى لكسب الوقت هو سياسة صحيحة . لقد حدث فى التاريخ أن روسيا قامت بتراجع جرىء لتتحاشى القتال الحاسم ، فهزمت نابليون الذى كان اسمه يدوى آنئذ فى العالم كله (٣٧) . واليوم ينبغى للصين أن تنسج على منوالها .

١٠٧ — لكن ألا نخشى أن يتهمنا الناس بأننا أنصار « اللامقاومة » ؟ كلا ، لا نخشى ذلك ، فان اللامقاومة هى ألا نقاتل العدو أبدا بل نهادنه ، وهى لا تستحق أن تستنكر فحسب ، بل لا نسمح بها أبدا . من واجبنا أن نخوض حرب المقاومة بعزم ، ولكن من الضرورى تماما ألا نقع فى حيلة العدو الخبيثة فتتعرض قواتنا الرئيسية للدمار تحت ضربة العدو مما يؤثر فى مواصلة حرب المقاومة ، أو بعبارة واحدة ، أن نتفادى سقوط الوطن . أما أولئك الذين يشكون فى ذلك فهم قصيرو النظر فى مسألة الحرب ، ومن المحتم أن ينضموا ، فى نهاية الأمر ، الى صفوف دعاة نظرية سقوط الوطن . ولقد نقدنا نزعة الاستماتة التى تنادى بما يسمى « التقدم كل التقدم بدون تراجع » ، وذلك بالضبط لأنه اذا عمت هذه النزعة ، تعرضنا لخطر عدم التمكن من مواصلة حرب المقاومة ، الأمر الذى يؤدى فى آخر الأمر الى سقوط الوطن .

١٠٨ — اننا ننادى بخوض جميع أنواع القتال الحاسم سواء فى المعارك أو فى الحملات كبيرها وصغيرها كلما توفرت الظروف الملائمة ، ولا نسمح بأية سلبية فى هذا المجال . اذ لا نستطيع ابادة العدو وانهاكه الا بهذا النوع من القتال الحاسم ، فينبغى لكل عسكرى فى حرب المقاومة أن يسعى اليه بحزم . وسوف يستلزم ذلك تضحيات جزئية ولكن هائلة جدا ، أما وجهة النظر القائلة بوجوب تجنب جميع التضحيات فهى ليست سوى وجهة نظر يتبناها الجبناء

أو أولئك المصابون بمرض الخوف من اليابانيين ، ومن اللازم أن نعارض وجهة النظر هذه بعزم . وكان اعدام الهاربين من لى فو يين وهان فو جيو وأمثالهما انما هو عقاب عادل . ان اطراء روح وأعمال التضحية البطولية والاقتحام الباسل على أساس الخطط الحربية السليمة هو ضرورى تماما ، وبدونهما تستحيل الحرب الطويلة الأمد والنصر النهائى فيها . لقد فندنا بشدة نزعة الفرار التى تنادى بما يسمى « التراجع كل التراجع بدون تقدم » ، ونؤيد تنفيذ الانضباط الصارم ، وذلك بالضبط لأنه لا يمكن قهر عدو قوى الا بالقتال الحاسم البطولى وفقا للخطة الصحيحة ، أما أنصار نزعة الفرار فهم مؤيدون لنظرية سقوط الوطن تأييدا مباشرا .

١٠٩ ــ أليس من التناقض خوض معركة بطولية فى البداية والتخلى عن الأراضى بعد ذلك ؟ أفلا يعنى ذلك اراقة دماء المقاتلين الأبطال عبثا ؟ ان طرح هذين السؤالين على هذا النحو أبعد ما يكون عن المنطق . فان المرء يأكل أولا ، ثم يتبرز ، أليس الأكل بلا فائدة ؟ وينام أولا ، ثم يستيقظ ، أليس النوم عبثا ؟ أيجوز أن تطرح الأسئلة على هذا النحو ؟ أرى أن ذلك غير جائز . والرأى القائل بأنه اذا أكل المرء ينبغى أن يأكل بلا انقطاع ، واذا نام ينبغى أن ينام بلا يقظة ، واذا قاتل ببطولة ينبغى أن يقاتل حتى ضفاف نهر يالو ، هذا الرأى ليس هو الا وهما يداعب خيال أصحاب النزعة الذاتية والنزعة الشكلية ، ولا يحدث ذلك أبدا فى الحياة الواقعية . وهل من أحد لا يعلم أنه برغم أن المعارك الدامية التى خضناها لكسب الوقت وتحضير الهجوم المضاد لم تستطع الحيلولة دون التخلى عن بعض الأراضى ، الا أننا قد كسبنا الوقت عن طريقها وحققنا هدف ابادة العدو وانهاكه ، وكذلك كسبنا التجربة فى الحرب ، واستنهضنا الجماهير الشعبية التى لم تكن قد نهضت بعد من أجل الحرب ، ورفعنا مركزنا على الصعيد العالمى . فهل أريقت دماؤنا عبثا فى هذه المعارك ؟ كلا ! ما أريقت قطرة منها عبثا . عندما نتخلى عن أرض فانما نرمى الى

الحفاظ على قواتنا بل بالضبط الى الحفاظ على الأراضى ، واذا لم نتخل عن بعض الأراضى فى ظروف غير ملائمة ، بل خضنا معركة حاسمة بصورة عمياء دون أن نملك أدنى ثقة من النجاح ، فان النتيجة الحتمية ستكون فقدان أراضينا بكاملها بعد خسارة قواتنا ، فضلا عن استحالة استرداد الأراضى المفقودة . ان الرأسمالى يحتاج الى رأس مال ليزاول التجارة ، واذا أفلس لا يبقى رأسماليا . ويحتاج المقامر الى مال يقامر به ، واذا قامر بكل ما يملكه دفعة واحدة وخانه الحظ فلن يبقى لديه ما يقامر به . ان الأمور تجرى فى مجرى متعرج ولا تتبع أبدا الخط المستقيم ، وهذا صحيح أيضا بالنسبة الى الحرب . والشكليون وحدهم يعجزون عن ادراك هذه الحقيقة .

١١٠ — وأعتقد أن ما قلته آنفا ينطبق أيضا على القتال الحاسم فى مرحلة الهجوم المضاد الاستراتيجى . وعلى الرغم من أن العدو سوف يكون فى مركز متفوق عليه فى تلك المرحلة بينما نكون نحن متفوقين ، الا أن مبدأ « السعى الى القتال الحاسم حين تتوفر الظروف الملائمة ورفضه حين لا تتوفر » سيظل صالحا حتى اللحظة التى نصل فيها الى ضفاف نهر يالو مظفرين . وهكذا نستطيع الاحتفاظ بالمبادرة من البداية حتى النهاية ، وعلينا أن نضع على الرف جميع « التحديات » التى يوجهها العدو و« استفزاز المشاعر » من الغير ، دون أن نعيرها أى اهتمام ولا نتأثر بها أدنى تأثر . ولن يعتبر قواد حرب المقاومة فى مصاف الشجعان الفطنين الا اذا برهنوا على هذا الثبات . أما أولئك الذين « ينفجرون لأقل استفزاز » فلن يسموا الى ذلك المستوى . ومع أننا نواجه فى المرحلة الأولى موقف الحرج فى الناحية الاستراتيجية الى درجة ما ، الا أنه يجب علينا أن نملك زمام المبادرة فى كل حملة ، كما يجب علينا أن نحتفظ به فى أية مرحلة لاحقة . اننا من أنصار نظرية الحرب الطويلة الأمد ونظرية النصر النهائى ، ولسنا بالمقامرين الذين يغامرون بكل ما لديهم دفعة واحدة .

الجيش والشعب يشكلان أساس النصر

١١١ — ان الامبريالية اليابانية ، وهى تواجه الصين الثورة ، لن تتراخى أبدا فى هجومها وقمعها ، وهذا ناجم عن طبيعتها الامبريالية بالذات . ولو لم تقم الصين بأى مقاومة ، لاحتلت اليابان بلاد الصين كلها دون أن تطلق عيارا ناريا واحدا ، وفقدان المقاطعات الشمالية الشرقية الأربع برهان على ذلك . وعندما تقاوم الصين سوف تسعى اليابان الى قمع هذه المقاومة ولن تكف عن هذا السعى الا بعد أن تجد قوتها لم تعد قادرة على قمعها ، وهذا قانون حتمى . ان طبقة ملاك الأراضى والبرجوازية اليابانية تراودهما مطامع كبيرة ، فمن أجل تنفيذ مشروعهما الذى يقوم فى الهجوم جنوبا على جنوب شرقى آسيا ، وشمالا على سيبيريا ، اتخذتا سياسة اختراق النقطة الوسطى بينهما فغزتا أول ما غزتا بلاد الصين . أما أولئك الذين يعتقدون أن اليابان سوف تقنع باحتلال الصين الشمالية ومقاطعتى جيانغسو وتشجيانغ ، وأنها سوف تتوقف هناك ، فانهم لم يدركوا اطلاقا أن اليابان الامبريالية التى قد دخلت مرحلة جديدة من تطورها والتى تشرف على حافة الهلاك ، لم تعد يابان الأمس . وحين نقول ان ثمة حدا لعدد القوات التى تستطيع اليابان ارسالها الى الصين وحدا لهجومها ، فانما نعنى أن اليابان تستعد للهجوم فى اتجاهات أخرى وللدفاع ضد أعداء آخرين ، فلا يمكنها أن ترسل من قواتها الحالية لغزو الصين سوى كمية محدودة ، ولا بد لها أن توقف تقدمها عند الحد الذى تسمح به امكانياتها ، أما الصين فقد أظهرت أنها على طريق التقدم ، وأنها قادرة على المقاومة العنيدة . فلا يمكن أن يتصور العقل ألا تلاقى الهجمات اليابانية العنيفة مقاومة لازمة من الصين . ان اليابان عاجزة عن احتلال الصين كلها ، ولكنها فى جميع المناطق التى تستطيع بلوغها ، لن تألو جهدا فى قمع المقاومة هناك ولن تكف عن ذلك حتى تصطدم تحت

ضغط الظروف الداخلية والخارجية ، اصطداما مباشرا بالأزمة التى سوف تلقى بها الى غياهب القبر . ان سياسة اليابان الداخلية لا يمكن أن تجد الا أحد مخرجين : اما أن تنهار طبقتها الحاكمة كلها عما قريب ، فتنتقل السلطة السياسية الى يد الشعب ، وتنتهى الحرب ، ولكن هذا الأمر مستحيل فى الوقت الحاضر ، واما أن توغل طبقة ملاك الأراضى والبرجوازية فى الفاشستية أكثر فأكثر ، وتستمرا فى الحرب حتى تلاقيا حتفهما ، وهذا الطريق هو الذى تسير عليه اليابان حاليا . وليس هناك طريق ثالث . ان أولئك الذين يأملون أن تتدخل الجماعة المعتدلة من البرجوازية اليابانية لايقاف الحرب لا يتعللون الا بأوهام باطلة . فهذه الجماعة قد غدت أسيرة لملاك الأراضى والاحتكاريين الماليين ، وذلك هو وضع اليابان السياسى الحقيقى منذ سنوات عديدة . واذا لم توجه المقاومة الصينية ضربة مميتة الى اليابان بعد أن شنت الحرب على الصين ، واذا بقيت لديها القوة الكافية فانها سوف تشن بالتأكيد هجوما على جنوب شرقى آسيا أو على سيبيريا ، أو عليهما معا . وسوف تفعل هكذا حالما تندلع الحرب فى أوربا ، فان الخطط التى رسمها الحكام اليابانيون مدفوعين بالمطامع والآمال الكاذبة لمفرطة الاتساع . وبالطبع هناك امكانية أخرى : يمكن لقوة الاتحاد السوفياتى وضعف اليابان الملحوظ الذى تصاب به فى الحرب ضد الصين أن يسفرا عن أن اليابان تضطر الى التخلى عن خطتها الأصلية للهجوم على سيبيريا وتقف موقف الدفاع المحض . ولكن اذا ظهر هذا الوضع فلن تضعف اليابان هجومها على الصين ، بل بالعكس ، سوف تشدده لأنه لن يبقى أمامها حينئذ سوى ابتلاع البلد الضعيف . وفى هذه الحال ستزداد خطورة مهمتنا فى المثابرة على حرب المقاومة والتمسك بالجبهة المتحدة ومواصلة الحرب الطويلة الأمد ويدعونا الواجب الى حذر أكثر من أى تراخ فى هذا المجال .

١١٢ — فى هذه الظروف يكون الشرط الرئيسى لانتصار الصين على اليابان هو وحدة الأمة بأسرها ومضاعفة التقدم فى جميع الميادين عشرات ومئات المرات . ان الصين تعيش اليوم فى مرحلة تقدم وحققت وحدة عظمى ، ولكن هذا التقدم وهذه الوحدة ما زالا بعيدين جدا عن المطلوب . لقد استطاعت اليابان أن تحتل تلك الأراضى الواسعة ، لأنها قوية والصين ضعيفة ، ولكن ضعفنا هذا نتج تماما عن تراكم الأخطاء المختلفة فى المائة سنة الأخيرة ولا سيما فى السنوات العشر الأخيرة ، وهذه الأخطاء هى التى أعاقت تقدم الصين حتى لم تستطع تخطى مستواها الراهن . ولا نستطيع أن نقهر مثل هذا العدو القوى دون أن نبذل جهودا جبارة خلال مدة طويلة . وينبغى لنا أن نبذل هذه الجهود فى مجالات شتى ولن أتحدث هنا الا عن أهم مجالين أساسيين منها : تقدم الجيش وتقدم الشعب .

١١٣ — يتطلب اصلاح النظام العسكرى جعل الجيش حديثا وتحسين عتاده التكنيكى ، وبدونهما لن نستطيع أن نطرد العدو الى ما وراء نهر يالو . كما أن استخدام القوات يتطلب استراتيجية وتكتيكا مرنين تقدميين ، وبغير ذلك يستحيل علينا احراز الانتصار . بيد أن أساس الجيش هو جنوده ، واذا لم ننفخ فيهم روحا سياسية تقدمية ، واذا لم نقم بعمل سياسى تقدمى من أجل هذا الغرض ، فلن نستطيع التوصل الى وحدة حقيقية بين الضباط والجنود ، ولا اثارة حميتهم فى حرب المقاومة الى الدرجة القصوى ، وبالتالى لن تجد جميع أنواع تكنيكنا وتكتيكنا أفضل أساس لاظهار فعالياتهما كما ينبغى . ونحن نؤكد أن الجيش اليابانى ، رغم تفوقه التكنيكى ، سوف يبوء بالهزيمة حتما فى نهاية المطاف ، ذلك لأنه بالاضافة الى الضربات التى نسددها له بعمليات الابادة والانهاك فان معنويات جنوده سوف تتضعضع حتما تحت ضرباتنا ولأن أسلحته فى أيد غير واعية . أما نحن فعلى النقيض من ذلك ، فلدى ضباطنا

وجنودنا هدف سياسى مشترك من حرب المقاومة . وهذا يوجد لنا قاعدة للعمل السياسى فى جميع الجيوش المقاومة ضد اليابان . ويجب أن تطبق فى الجيش للديمقراطية فى حدودها المعينة ، ونقصد من ذلك ، بصورة رئيسية ، الغاء النظام الاقطاعى للعقوبات الجسدية والتوبيخ ، وتطبيق مبدأ تقاسم الضباط والجنود السراء والضراء فى حياتهم اليومية . وهكذا تتحقق الوحدة بين الضباط والجنود وتزداد قدرة الجيش القتالية الى أبعد الحدود ، وعلى ذلك يمكننا أن نطمئن الى قدرتنا على الصمود فى هذه الحرب الطويلة والضارية .

١١٤ — يكمن فى الجماهير الشعبية أعمق المنابع لقوى الحرب العظيمة . وان السبب الرئيسى فى تجرؤ اليابان على التطاول علينا هو أن جماهير الشعب الصينى ظلت غير منظمة . وحين نتغلب على هذا النقص ، سنحمل الغزاة اليابانيين على مواجهة مئات الملايين من شعبنا الذى يكون قد نهض من رقدته ، وحينئذ سوف يصير حال أولئك الغزاة أشبه بحال ثور هائج اقتحم النيران ، ويكفى أن نصرخ فى وجهه صرخة واحدة حتى يرتجف من الرعب ، ولا مناص له من أن يحرق حيا . أما الصين فان جيشها يحتاج الى امداد متواصل، بيد أن أسلوب التجنيد الذى يستخدم حاليا فى المستويات الدنيا « أسلوب الاكراه » و« أسلوب شراء البديل » (٣٨) ، يجب أن يحظر فورا وتحل محله تعبئة سياسية واسعة ونشطة ، وعلى هذا النحو سوف يسهل علينا أن نجند حتى ملايين الرجال . صحيح أننا نواجه صعوبات كبيرة فى ايجاد الموارد المالية لحرب المقاومة ، ولكن حالما تعبأ الجماهير الشعبية لا تعود الأموال مشكلة ، أ من المعقول أن تواجه بلاد تضم أراضى بمثل هذا الاتساع وسكانا بمثل هذا العدد ، صعوبات مالية ؟ وينبغى للجيش أن يلتحم بجماهير الشعب لتشعر أنه منها ولها ، وعندئذ سوف يصبح هذا الجيش جبارا لا يقهر فى العالم مطلقا ، اذن فهو أقدر من أن يقهر دولة امبريالية واحدة كاليابان .

١١٥ — يظن كثيرون أن الأساليب الخاطئة هي التي حالت دون تحسين العلاقات بين الضباط والجنود وبين الجيش والشعب ، لكنني قلت لهم دائما : ان الأمر يتعلق هنا بموقف أساسي (أو مبدأ أساسي) ، يقوم في احترام الجنود واحترام الشعب . وتنشأ بالضبط عن هذا الموقف مختلف السياسات والطرق والأساليب . فاذا انحرفنا عنه أصبحت السياسات والطرق والأساليب خاطئة بالتأكيد ، وأصبح من المستحيل قطعا اقامة علاقات طيبة بين الضباط والجنود وبين الجيش والشعب . ان المبادىء الكبرى الثلاثة للعمل السياسي في الجيش هي : أولا ، الوحدة بين الضباط والجنود ، ثانيا ، الوحدة بين الجيش والشعب ، ثالثا ، تفكيك القوات المعادية . واذا أردنا تطبيق هذه المبادىء بصورة مثمرة فلا بد أن ننطلق من هذا الموقف الأساسي وهو احترام الجنود والشعب واحترام الكرامة الشخصية للأسرى الذين ألقوا السلاح . ومن المؤكد أن أولئك الذين يظنون أن القضية لا تتعلق هنا بالموقف الأساسي بل هي قضية فنية ، مخطئون وعليهم أن يصححوا هذا الخطأ .

١١٦ — الآن وقد صار الدفاع عن ووهان والأماكن الأخرى مهمة عاجلة ، تقوم مهمتنا الخطيرة جدا في اثارة حمية كل الجيش وكل الشعب من أجل دعم الحرب . وعلينا بلا شك أن نطرح جديا مهمة الدفاع عن ووهان وعن الأماكن الأخرى وأن ننجزها جديا ، ولكن مسألة ما اذا كنا سوف نوفق في نهاية الأمر في الدفاع عنها ، لا تتوقف على ارادتنا الذاتية ، بل على العوامل المحددة . والتعبئة السياسية لكل الجيش ولكل الشعب من أجل الكفاح هي من أهم هذه العوامل . واذا لم نبذل جهودنا في سبيل تهيئة جميع العوامل الضرورية ، أو حتى اذا نقصنا عامل واحد فقط من هذه العوامل الضرورية ، فسيحصل حتما بالمثل ما حصل لنانكين وغيرها من الأماكن التي سقطت في يد العدو . وأي مدينة هي التي ستصبح مدريد (٣٩) الصين ؟ انها المدينة التي سوف تتوفر فيها

ظروف مدريد ذاتها . وحتى الآن لم تظهر لدينا مدريد واحدة . ولكن ينبغى لنا بعد اليوم أن نخلق عندنا عدة مدن من أمثال مدريد ، ولكن انجاز هذا العمل يتوقف تماما على العوامل ، وأهم العوامل الأساسية هو التعبئة السياسية الواسعة لكل الجيش ولكل الشعب .

١١٧ — فى كل عملنا ينبغى التمسك بحزم بالسياسة العامة سياسة الجبهة الوطنية المتحدة ضد اليابان ، لأن هذه السياسة وحدها هى التى تضمن امكانية مواصلة حرب المقاومة والحرب الطويلة الأمد ، والوصول الى تحسين شامل وعميق للعلاقات بين الضباط والجنود ، وبين الجيش والشعب ، واثارة الحمية الكاملة لكل الجيش وكل الشعب من أجل الدفاع عن جميع أراضينا التى لم تفقد واستعادة جميع الأراضى المفقودة ، وأخيرا انتزاع النصر النهائى .

١١٨ — ان التعبئة السياسية للجيش والشعب هى حقا مسألة فى غاية الخطورة . والسبب فى أننا لم نضن بالحديث عنها مرارا وتكرارا يعود حقا الى أن النصر مستحيل بدونها . صحيح أن عوامل عديدة أخرى هى ضرورية أيضا لتحقيق النصر ، ولكن التعبئة السياسية هى أهم العوامل الأساسية . ان الجبهة الوطنية المتحدة ضد اليابان هى جبهة متحدة لكل الجيش ولكل الشعب ، وليست أبدا بجبهة متحدة فقط للجان وأعضاء بعض الأحزاب السياسية ، اذ أن الغرض الأساسى من انشاء الجبهة الوطنية المتحدة ضد اليابان هو تعبئة كل الجيش وكل الشعب للانضمام اليها .

استنتاجات

١١٩ — ما هى استنتاجاتنا اذن ؟ ها هى ذى : « فى أية ظروف تستطيع الصين أن تقهر قوات الامبريالية اليابانية وتقضى عليها ؟ هناك ثلاثة شروط

لا غنى عنها : أولا انشاء جبهة متحدة صينية ضد اليابان ، وثانيا انشاء جبهة متحدة عالمية ضد اليابان ، وثالثا نهوض الحركات الثورية الشعبية فى اليابان وفى المستعمرات اليابانية . والشرط الرئيسى من هذه الشروط الثلاثة ، انطلاقا من موقف الشعب الصينى، هو اتحاده الكبير . » و« الى متى ستستمر هذه الحرب ؟ يتوقف ذلك على قوة الجبهة المتحدة الصينية ضد اليابان وعلى عوامل حاسمة عديدة أخرى لدى الصين واليابان . » و« أما اذا لم تتوفر هذه الشروط بصورة سريعة فان الحرب ستطول . ولكن نتيجتها ستكون هى هى : الهزيمة المحققة لليابان والنصر الأكيد للصين . ولكن سوف نقاسى تضحيات جسيمة ونجتاز فترة أليمة جدا . » و« ان مبدأنا الاستراتيجى ينبغى أن يقوم فى استخدام قواتنا النظامية فى القتال على جبهات جد طويلة وغير ثابتة . واذا ما أرادت القوات الصينية أن تحرز الانتصار فمن الضرورى أن تقوم فى ميادين قتال واسعة بالحرب المتحركة فى أعلى درجاتها . » و« يجب أن ننظم ، الى جانب استخدام قوات حسنة التدريب فى الحرب المتحركة ، عددا كبيرا من فصائل العصابات فيما بين الفلاحين . » و« فى مجرى الحرب . . . سوف يقوى الجيش الصينى فى تسلحه تدريجيا . وبفضل ذلك سوف تتمكن الصين ، فى المرحلة الأخيرة من الحرب ، من ممارسة الحرب الموقعية ، ومن شن الهجوم الموقعى على المناطق التى تحتلها اليابان . وهكذا سينهار الاقتصاد اليابانى بعد أن تستنزفه حرب المقاومة الصينية مدة طويلة ، وستتحطم معنويات الجنود اليابانيين بعد أن تضنيهم معارك لا حصر لها . أما جانب الصين ، فان قواها الكامنة للمقاومة ستندفع وتزخر يوما فيوما ، وتتدفق أعداد هائلة من الجماهير الثورية الى الجبهة الأمامية لتناضل من أجل الحرية . وهذه العوامل مع عوامل أخرى سوف تمكننا من شن هجمات أخيرة وقاضية على الحصون والقواعد فى المناطق التى تحتلها اليابان ، فنطرد القوات

اليابانية المعتدية من الصين . » (حديث مع ادغار سنو فى يوليو — تموز — ١٩٣٦) . « منذ ذلك الوقت دخل وضع الصين السياسى مرحلة جديدة ، . . . وأهم مهماتنا الرئيسية فى هذه المرحلة الجديدة هى تعبئة جميع القوى لاحراز النصر فى حرب المقاومة . » و« ان تطوير حرب المقاومة التى بدأت الآن ، الى حرب شاملة تشترك فيها الأمة جمعاء هو مفتاح النصر فى حرب المقاومة ، اذ أن هذه الحرب الشاملة التى تخوضها الأمة بأسرها هى وحدها التى سوف تمكننا من احراز النصر النهائى . » و« بما أنه ما زالت هناك نقاط ضعف خطيرة فى حرب المقاومة الحالية ، يمكن أن تظهر ظروف غير مؤاتية فى سيرها اللاحق كنكسات وتراجعات وانقسامات داخلية وخيانات ومهادنات موقتة وجزئية ، لذلك يجب علينا أن ندرك أن حرب المقاومة ستكون حربا طويلة ومريرة . غير أننا مقتنعون بأن حرب المقاومة التى شنناها سوف تستمر فى تقدمها وتطورها بفضل جهود حزبنا وشعبنا كله مذللة جميع العراقيل فى طريقها . » (« قرار اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الصينى حول الوضع الراهن ومهمات الحزب » أغسطس — آب — ١٩٣٧) هذه هى الاستنتاجات . ان دعاة نظرية سقوط الوطن يرون فى العدو قوة خارقة ، بينما تبدو الصين فى نظرهم كأنها خردلة ، وبالعكس فان دعاة نظرية النصر العاجل يعتبرون العدو خردلة بينما يرون فى الصين قوة خارقة . ان هؤلاء وأولئك مخطئون . أما نحن فنختلف عنهم جميعا اذ نرى أن حرب المقاومة سوف تكون حربا طويلة الأمد ، وأن النصر النهائى سوف يعود للصين . هذه هى استنتاجاتنا .

١٢٠ — هنا أختتم محاضرتى . ان حرب المقاومة العظمى تتطور الآن ، ويرجو كثيرون أن تلخص التجارب المكتسبة للافادة منها فى سبيل كسب النصر التام . واننى لم أعالج فى المحاضرات الا التجربة العامة خلال الأشهر العشرة

الأخيرة ، ويمكن ، اذا شئتم ، اعتبار هذه المحاضرات تلخيصا للتجربة . ان الحرب الطويلة الأمد مسألة تستحق الاهتمام الكبير ويجب أن تكون موضوع نقاش واسع ، واني لم أعرض من هذه المسألة الا خطوطها العريضة ، راجيا منكم جميعا أن تتدارسوها وتناقشوها وتبدوا ملاحظاتكم لاصلاحها واكمالها .

ملاحظات

(۱) لوقوتشياو تقع على بعد أكثر من عشرة كيلومترات جنوب غربى مدينة بكين ، وفى ۷ يوليو (تموز) ۱۹۳۷ هاجمت القوات اليابانية المعتدية القوات الصينية المرابطة هناك . فهبت القوات الصينية تقاومها بتأثير موجة مقاومة اليابان التى أثارها الشعب الصينى قاطبة . هكذا بدأت حرب المقاومة البطولية التى خاضها الشعب الصينى والتى استمرت ثمانى سنوات .

(۲) ان نظرية سقوط الصين كانت تمثل وجهة نظر رجال الكومينتانغ . لقد كانوا لا يريدون مقاومة اليابان ، وما قاوموها فيما بعد الا مضطرين . بعد حادثة لوقوتشياو اشتركت كتلة تشيانغ كاى شيك ، رغم أنفها ، فى مقاومة اليابان ، أما كتلة وانغ جينغ وى فقد صارت تمثل دعاة نظرية سقوط الصين وكانت تستعد للاستسلام لليابان ، وحقا قد استسلمت فيما بعد . بيد أن هذه النظرية لم تكن منتشرة فى داخل الكومينتانغ وحده ، بل سبق لها أن أثرت أيضا فى بعض الفئات الوسطى من المجتمع وحتى فى العناصر المتخلفة من بين الكادحين . ذلك أن حكومة الكومينتانغ كانت تمنى ، بسبب فسادها وعجزها ، بهزيمة تلو الهزيمة فى الحرب ، فى حين كان الجيش اليابانى يتقدم بلا توقف حتى بلغ مشارف ووهان خلال العام الأول من الحرب ، الأمر الذى تسبب فى تشاؤم شديد بين الأوساط المتخلفة من أبناء الشعب .

(۳) كانت هذه الآراء قائمة فى صفوف الحزب الشيوعى . فقد كان يوجد فى داخل الحزب خلال الأشهر الستة الأولى من حرب المقاومة ضد اليابان ميل الى استصغار قوى العدو ، يعتقد أصحاب هذه الآراء أن اليابان أضعف من أن تتحمل ضرباتنا . وذلك لا لأنهم كانوا يشعرون بأن قوتنا كبيرة جدا ، اذ كانوا يعرفون أن القوات المسلحة والقوى الشعبية المنظمة التى يقودها الحزب الشيوعى كانت لا تزال ضعيفة جدا فى ذلك الوقت ، بل لأن الكومينتانغ قد أصبح يقاوم العدوان اليابانى فأشعرهم ذلك أنه من الممكن أن يتعاون الكومينتانغ – وهو يملك قوة عظيمة – مع الحزب الشيوعى فى توجيه الضربات الفعالة الى الغزاة اليابانيين . انهم لم يروا غير أحد جانبى

الأمر وهو اشتراك الكومينتانغ بصورة موقتة فى المقاومة ، بينما نسوا جانبه الآخر وهو رجعية الكومينتانغ وفساده ، ومن ثم أخطأوا فى تقدير الوضع .

(٤) كان تشيانغ كاى شيك وكتلته يرون هذا الرأى . ان الكومينتانغ بزعامة تشيانغ كاى شيك لما أجبر على خوض حرب المقاومة علق كل آماله على تلقى مساعدة خارجية سريعة ، دون أن يثق بقوى نفسه ، فضلا عن أن يثق بقوى الشعب .

(٥) تايرتشوانغ هى بلدة تقع فى جنوبى مقاطعة شاندونغ . وقد جرت هناك معركة كبرى بين الجيش الصينى والقوات اليابانية المعتدية فى مارس (آذار) ١٩٣٨ ، وانتهت بانتصار الجيش الصينى لأنه حارب بأربعمائة ألف جندى ضد قوة يابانية تتألف مما بين سبعين وثمانين ألف جندى .

(٦) ورد هذا الرأى فى احدى افتتاحيات جريدة « داقونغباو » التى كانت يومئذ لسان حال جماعة العلوم السياسية فى الكومينتانغ . وكان أنصار هذا الرأى يتمنون ، انطلاقا من أملهم فى احراز النجاح عن طريق المصادفة ، ايقاف زحف القوات اليابانية بعدة انتصارات مماثلة لانتصار تايرتشوانغ وعندئذ ستتلاشى ضرورة تعبئة القوى الشعبية لخوض حرب طويلة الأمد ، لأن هذه التعبئة ستشكل خطرا على سلامة طبقتهم . ان هذا الأمل الكاذب كان يخامر رجال الكومينتانغ جميعهم فى ذلك الوقت .

(٧) شنت الفرقة ١١٥ التابعة للجيش الثامن الذى يقوده الحزب الشيوعى الصينى ، تحت اشراف الرفيق لين بياو نفسه ، معركة ابادة فى منطقة بينغشينغقوان بمقاطعة شانشى فى ٢٥ سبتمبر (أيلول) ١٩٣٧ ، وهى أول معركة ابادة منذ أن خاضت البلاد كلها حرب المقاومة . فأبادت فيها أكثر من ثلاثة آلاف من رجال فرقة اتاغاكى وهى احدى الفرق اليابانية القوية . وقد هز هذا الانتصار العالم كله — المعرب .

(٨) وافق جيش الشمال الشرقى الكومينتانغى الذى يقوده تشانغ شيويه ليانغ ، والجيش السابع عشر الكومينتانغى الذى يقوده يانغ خو تشنغ ، بتأثير الجيش الأحمر الصينى والحركة الشعبية المقاومة لليابان ، على سياسة الجبهة الوطنية المتحدة ضد اليابان ، التى تقدم بها الحزب الشيوعى الصينى ، فطالبا تشيانغ كاى شيك بالتحالف مع الحزب الشيوعى بهدف مقاومة اليابان . بيد أن تشيانغ كاى شيك رفض طلبهما ، بل تمادى فى غيه يباشر بنشاط أعظم تحضير حملات « ابادة الشيوعيين » ويذبح الطلاب المقاومين لليابان فى شيآن . لذلك قام تشانغ شيويه ليانغ ويانغ خو تشنغ بعمل مشترك فاعتقلا تشيانغ كاى شيك . وهذه هى حادثة شيآن المشهورة التى وقعت فى ١٢ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٣٦ . ولما اضطر تشيانغ كاى شيك الى قبول الشروط التى تقضى بالتحالف مع الحزب الشيوعى من أجل مقاومة اليابان ، أطلق سراحه فعاد الى نانكين .

(٩) خلال عشرات السنين ابتداء من أواخر القرن الثامن عشر ظلت بريطانيا تصدر الأفيون الى الصين بصورة متزايدة . وقد ألحقت بريطانيا بذلك ضررا بالغا بصحة أبناء الشعب الصيني ، كما نهبت من الصين كميات كبيرة من الفضة . ولذلك قوبلت تجارة الأفيون بمقاومة الصين . وفى عام ١٧٤٠ أرسلت الحكومة البريطانية قواتها لغزو الصين بحجة حماية التجارة البريطانية ، فخاضت قوات الصين بقيادة لين تسه شيو حرب المقاومة ضد الغزاة . وكذلك نظم شعب مدينة قوانغتشو أنفسهم تلقائيا فى « فصائل قمع البريطانيين » التى قد أنزلت ضربات شديدة بالغزاة البريطانيين. وفى عام ١٨٤٢ عقدت حكومة تشينغ المتفسخة مع الغزاة البريطانيين « معاهدة نانكين » التى تنص ، الى جانب دفع تعويضات لبريطانيا والتخلى لها عن هونغ كونغ ، على فتح موانىء شانغهاى وفوتشو وشيامن ونينغبوه وقوانغتشو كموانىء تجارية وتحديد الرسوم الجمركية على البضائع البريطانية المصدرة الى الصين عن طريق التشاور بين الطرفين الصينى والبريطانى .

(١٠) كانت حرب مملكة التايبينغ السماوية حربا ثورية قام بها الفلاحون فى أواسط القرن التاسع عشر لمناهضة الحكم الاقطاعى لأسرة تشينغ والاضطهاد القومى . ففى يناير (كانون الثانى) ١٨٥١ ، قام خونغ شيو تشيوان ويانغ شيو تشينغ وغيرهما من قادة هذه الثورة بانتفاضة قرية جينتيان فى محافظة قويبينغ بمقاطعة قوانغشى ، وأعلنوا تأسيس « مملكة التايبينغ السماوية » . وفى عام ١٨٥٢ انطلق جيشهم من قوانغشى ومر بخونان وخوبى وجيانغشى وآنخوى ، ثم استولى على نانكين فى عام ١٨٥٣ . ثم زحف قسم من الجيش شمالا حتى وصل قرب مدينة تيانجين . ولكن نظرا لأن جيش التايبينغ لم يؤسس قواعد وطيدة فى كل المناطق التى احتلها ، وأن كتلته القيادية ارتكبت ، بعد اتخاذ نانكين عاصمة للمملكة ، كثيرا من الأخطاء السياسية والعسكرية ، لم يستطع مقاومة الهجوم المشترك الذى شنته القوات المعادية للثورة والتابعة لحكومة أسرة تشينغ والغزاة البريطانيون والأمريكيون والفرنسيون فمنى بالفشل عام ١٨٦٤ .

(١١) المقصود هنا الحركة الاصلاحية التى حدثت فى عام ١٨٩٨ بقيادة كانغ يو وى وليانغ تشى تشاو وتان سى تونغ وآخرين ، وهى حركة تمثل مصلحة قسم من البرجوازية الليبرالية وملاك الأراضى المستنيرين ولقيت التأييد من قبل الامبراطور قوانغ شيو ، لكنها كانت تفتقر الى قاعدة جماهيرية ، ولما أفشى يوان شى كاى الذى كان يملك قوات مسلحة أسرار الاصلاحيين الى تسى شى أم الامبراطور وزعيمة المتعنتين انتزعت السلطة السياسية مرة أخرى وأمرت بحبس الامبراطور قوانغ شيو ، كما أعدمت تان سى تونغ وخمسة آخرين ، وهكذا فشلت الحركة بصورة محزنة .

(١٢) كانت ثورة ١٩١١ ثورة قد أطاحت بحكومة أسرة تشينغ الاستبدادية . ففي ١٠ أكتوبر (تشرين الأول) من ذلك العام قام قسم من جيش أسرة تشينغ الجديد بانتفاضة فى مدينة وو تشانغ بتحريك من الجماعات الثورية للبرجوازية والبرجوازية الصغيرة يومذاك ، وأعقبت ذلك انتفاضات قامت فى مقاطعات أخرى فانهار حكم أسرة تشينغ سريعا . وفى أول يناير (كانون الثانى) ١٩١٢ تشكلت الحكومة المؤقتة لجمهورية الصين فى نانكين وانتخب صون يات صن رئيسا موقتا للجمهورية . وقد انتصرت هذه الثورة بفضل التحالف بين البرجوازية والفلاحين والعمال والبرجوازية الصغيرة فى المدن . ولكن الجماعات التى قادت تلك الثورة كانت تميل بطبيعتها الى المهادنة فلم تمنح الفلاحين أى منافع حقيقية ، وبدلا عن ذلك خضعت لضغط الامبريالية والقوى الاقطاعية مما أدى الى وقوع السلطة السياسية فى يد أمير الحرب الشمالى يوان شى كاى ، وبسبب ذلك فشلت الثورة .

(١٣) ان الحملة الشمالية هى الحرب التى قام بها الجيش الثورى الذى خرج من قوانغدونغ من مايو (أيار) الى يوليو (تموز) عام ١٩٢٦ يزحف شمالا للهجوم على أمراء الحرب الشماليين . كان جيش الحملة الشمالية يحظى ، بفضل مشاركة الحزب الشيوعى الصينى فى قيادته وتأثير هذا الحزب فيه (كان الحزب الشيوعى يتولى معظم الأعمال السياسية فى الجيش وقتئذ) ، بتأييد حماسى ومساعدة حارة من قبل الجماهير الغفيرة من العمال والفلاحين ، ففى النصف الثانى لعام ١٩٢٦ والنصف الأول لعام ١٩٢٧ استولى الجيش بالتوالى على معظم المقاطعات الواقعة على امتداد نهر اليانتسى والنهر الأصفر ، وهزم أمراء الحرب الشماليين . وفى ابريل (نيسان) عام ١٩٢٧ فشلت هذه الحرب الثورية من جراء خيانة الطغمة الرجعية برئاسة تشيانغ كاى شيك فى داخل صفوف الثورة — المعرب .

(١٤) فى ١٦ يناير (كانون الثانى) ١٩٣٨ أصدرت الوزارة اليابانية بيانا أعلنت فيه سياستها الرامية الى استعباد الصين بقوة السلاح . وفى الوقت ذاته لجأت الى أسلوب الاغراء والوعيد ازاء حكومة الكومينتانغ ، معلنة أنه اذا « استمرت » حكومة الكومينتانغ فى « التحريض على حرب المقاومة » فان الحكومة اليابانية سوف تصنع حكما عميلا جديدا فى الصين وتكف عن اعتبار حكومة الكومينتانغ « طرفا معترفا به » فى المحادثات المقبلة .

(١٥) المقصود بصورة رئيسية ، هنا ، الولايات المتحدة الأمريكية .

(١٦) هى حكومات الدول الامبريالية مثل بريطانيا والولايات المتحدة وفرنسا .

(١٧) ان ما تنبأ به هنا الرفيق ماو تسى تونغ من احتمال تطور الوضع الصينى الى

الأفضل خلال مرحلة التعادل من حرب المقاومة قد تحقق تماما فى المناطق المحررة التى كانت تحت قيادة الحزب الشيوعى الصينى . ولكن فى المناطق التى كان يسيطر عليها الكومينتانغ لم يتطور الوضع الى الأفضل بل الى الأسوأ ، بسبب فتور الطغمة الحاكمة وعلى رأسها تشيانغ كاى شيك فى مقاومة اليابان ونشاطها فى مكافحة الحزب الشيوعى والشعب . بيد أن ذلك أثار مقاومة الجماهير الشعبية الواسعة وزاد من وعيها السياسى . راجع مقالة « الحكومة الائتلافية » حيث حلل الرفيق ماو تسى تونغ هذه الوقائع .

(١٨) كان أنصار نظرية « السلاح يقرر كل شيء » يعتقدون أن الصين سوف تهزم حتما فى الحرب بسبب تخلفها عن اليابان فى ناحية الأسلحة . وكان جميع زعماء طغمة الكومينتانغ الرجعية (بما فيهم تشيانغ كاى شيك) يتبنون هذه النظرية .

(١٩) ويتشى لعبة صينية قديمة شبيهة بالشطرنج ، يحاول كل من اللاعبين فيها أن يطوق قطع خصمه . وحين تقع قطعة أو عدة قطع لأحد الطرفين تحت تطويق قطع الطرف الآخر فان القطعة أو القطع المطوقة تعد « مأكولة » . ولكن اذا استطاع اللاعب أن يحتفظ فى دائرة مجموعة القطع المطوقة « خانة شاغرة » فان هذه القطع المطوقة لا يمكن أن « تؤكل » بل ستظل « حية » .

(٢٠) بوذا هو ساكيامونى مؤسس الديانة البوذية . وسون ووكونغ هو بطل الرواية الأسطورية الصينية « شى يو جى » (الحج الى الغرب) فى القرن السادس عشر ، وتقول الرواية ان هذا البطل كان فى الأصل قردا يستطيع بشقلبة واحدة أن يقطع مسافة مائة وثمانية آلاف لى ، ولكنه لم يستطع رغم محاولاته العديدة أن يتخطى راحة يد بوذا بعد أن سقط عليها ، فأدار بوذا راحته فى اتجاه الأرض وحول أصابعه الى جبل العناصر الخمسة الذى هو عبارة عن خمسة جبال متصلة بعضها ببعض ثم جعله يجثم على سون ووكونغ .

(٢١) فى المؤتمر السابع للأممية الشيوعية المنعقد فى أغسطس (آب) ١٩٣٥ ، قال الرفيق ديمتروف فى تقريره بعنوان « المسائل الراهنة فى النضال ضد الحرب وضد الفاشية » : « أن الفاشية هى الشوفينية المسعورة والحرب اللصوصية . » وفى يوليو (تموز) ١٩٣٧ نشر الرفيق ديمتروف مقالا بعنوان « الفاشية هى الحرب » .

(٢٢) راجع لينين : « الاشتراكية والحرب » ، الفصل الأول ، و« افلاس الأممية الثانية » ، المبحث الثالث .

(٢٣) انظر « سون تسى » ، الفصل الثالث : « استراتيجية الهجوم » .

(٢٤) تقع بلدة تشينغبو فى محافظة بوهن مقاطعة بينغيوان (وقد ألغيت الآن هذه المقاطعة وتلك المحافظة ، فضمت هذه البلدة الى محافظة فانغ من مقاطعة خنان - المعرب) . وفى عام ٦٣٢ ق . م ، جرت فيها معركة كبرى بين جيش مملكة جين

وجيش مملكة تشو ، وكان جيش تشو فى مركز متفوق عند بداية الحرب ، فتراجع جيش جين مسافة تسعين لى ، ثم اختار ميمنة جيش تشو وميسرته وهما ضعيفتان ، فسدد اليهما ضربات قاصمة ، فمنى جيش تشو بهزيمة نكراء .

(٢٥) كانت مدينة تشنغقاو القديمة الواقعة فى محافظة شينغيانغ بمقاطعة خنان (وكان مركز حاكم المدينة فى بلدة سيشوى الحالية من محافظة شينغيانغ فى مقاطعة خنان — المعرب) مركزا ذا أهمية استراتيجية فى قديم الزمان . وقد نشبت فيها عام ٢٠٣ ق . م معركة بين ليو بانغ ملك هان وشيانغ يو ملك تشو . وكان شيانغ يو قد فتح فى بادىء الأمر مدينة شينغيانغ ومدينة تشنغقاوعلى التوالى ، وشتت شمل قوات ليو بانغ . ولكن ليو بانغ انتظر حتى جاءته الفرصة المؤاتية فألحق بقوات تشو هزيمة منكرة عند وصولها الى عرض نهر سيشوى فى محاولة لعبوره ، واسترجع مدينة تشنغقاو .

(٢٦) فى عام ٢٠٤ ق . م قاد هان شين أحد قواد أسرة هان جيشه وقاتل جيش تشاو شيه فى جينغشينغ . وكان جيش تشاو شيه الذى يدعى هو أنه يبلغ مئتى ألف جندى تقريبا يفوق جيش هان عدة أضعاف . واذ أمر هان شين جيشه بأن يحارب والنهر من وراءه استبسل الجيش فى القتال ، وفى الوقت ذاته أرسل هان شين قسما من جيشه لاغارة واحتلال مؤخرة جيش تشاو شيه الضعيفة الحماية ، فوضع جيش تشاو شيه بين فكى كماشة وهزمه هزيمة منكرة .

(٢٧) كانت مدينة كونيانغ القديمة واقعة فى أرض محافظة يشيان الحالية من مقاطعة خنان . فى هذا المكان انتصر ليو شيو (الملك الملقب بقوانغ وو من ملوك أسرة هان الشرقية) على قوات وانغ مانغ عام ٢٣ ميلادية . وكان التفاوت فى القوة العسكرية هائلا بين الجانبين ، اذ كان ليو شيو لا يملك من الجنود سوى عدد يتراوح بين ثمانية آلاف وتسعة آلاف شخص بينما كان وانغ مانغ يملك ما يزيد على أربعمائة ألف رجل . ولكن استطاع ليو شيو الاستفادة من حالة عدم استعداد وانغ شيون ووانغ يى قائدى قوات وانغ مانغ اللذين كانا يستهينان بالعدو ، فحطم صفوة قوات وانغ مانغ بثلاثة آلاف رجل فقط من نخبة رجاله ، واستفاد من هذا النصر وواصل هجومه فهزم البقية الباقية من قوات عدوه شر هزيمة .

(٢٨) كانت قواندو بلدة واقعة فى شمال شرقى محافظة تشونغمو الحالية من مقاطعة خنان . وفى عام ٢٠٠ ميلادية ، وقعت فيها معركة بين جيش تساو تساو وجيش يوان شاو . وكان جيش يوان شاو يعد مائة ألف جندى بينما لم يكن تحت قيادة تساو تساو سوى عدد قليل من الجنود ، كما كان يفتقر الى المؤن . ولكن استفاد تساو تساو من غفلة قوات يوان شاو التى كانت تستخف بعدوها ، فبعث بقوة صغيرة سريعة الحركة

فشنت على تلك القوات هجوما مفاجئا وأشعلت النار فى مؤنها وعتادها . فوقعت الأخيرة فى حالة من الفوضى والاضطراب ، وحينئذ هاجمها جيش تساو تساو وسحق قواتها الرئيسية .

(٢٩) كانت مملكة وو تحت حكم سون تشيوان ، ومملكة وى تحت حكم تساو تساو . وتقوم تشيبى على الضفة الجنوبية من نهر اليانغتسى الى الشمال الشرقى من محافظة جيايو من مقاطعة خوبى . وفى عام ٢٠٨ ميلادية ، قاد تساو تساو قوة هائلة تعدادها أكثر من خمسمائة ألف ، وكان يدعى أنها تبلغ ثمانيمائة ألف رجل ، لتشن هجوما على قوات سون تشيوان . فتحالف سون تشيوان مع ليو بى خصم تساو تساو ، واستفاد من اصابة جنود تساو تساو بالأمراض ومن عدم تعودهم الحرب على السفن ، فهاجم أسطول تساو تساو بثلاثين ألف رجل من القوات المتحالفة ، فأشعلوا فيه النار وأنزلوا بقوات تساو تساو هزيمة منكرة .

(٣٠) تقع ييلينغ شرق محافظة ييتشانغ الحالية من مقاطعة خوبى ، حيث هزم لو شيون ، وهو قائد من مملكة وو ، جيش ليوبى حاكم مملكة شو ، فى عام ٢٢٢ ميلادية . وقد حققت قوات ليوبى بادىء الأمر سلسلة من الانتصارات ، وتوغلت فى أرض وو بمسافة خمسمائة أو ستمائة لى عندما وصلت الى ييلينغ . أما لو شيون الذى كان يدافع عن ييلينغ ، فقد ظل يتجنب المعارك طوال سبعة أو ثمانية أشهر ، حتى « أنهكت قوى جنود ليو بى وانهارت معنوياتهم ، وأصبح فى حيرة من أمره » . وعندئذ أشعلت قوات لو شيون النار فى خيام الجيش المعادى مستفيدة من هبوب الرياح ، وهزمته هزيمة ساحقة .

(٣١) فى عام ٣٨٣ ميلادية ، ألحق شيه شيوان قائد مملكة جين الشرقية هزيمة نكراء بفو جيان ملك مملكة تشين بالقرب من نهر فيشوى من مقاطعة آنخوى . كان فو جيان يملك قوة من المشاة تزيد عن ستمائة ألف رجل ، وقوة من الخيالة تبلغ مائتين وسبعين ألف فارس ، وفرقة من الحرس تعد أكثر من ثلاثين ألف فارس ، بينما كانت القوات البرية والنهرية التى تملكها مملكة جين الشرقية تعد ثمانين ألف رجل فقط . وكانت قوات الجانبين وجها لوجه على ضفتى نهر فيشوى ، فاستفاد قائد جين الشرقية من غرور العدو وفرط ثقته بنفسه ، وطلب من قوات تشين التى كانت على الضفة الشمالية للنهر أن تتراجع وتفسح رقعة من الأرض حتى تخوض معها قوات جين الشرقية معركة حاسمة فيها بعد أن تعبر النهر . واستجابت قوات تشين لطلبه دون أى تردد . بيد أن التراجع ما كان يمكن أن يتوقف بعد ما بدأ . فانتهزت قوات جين الشرقية هذه الفرصة ، فعبرت النهر وشنت هجوما على قوات تشين وهزمتها شر هزيمة .

(٣٢) كان نابليون ، فيما بين أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع

عشر ، يحارب بريطانيا وبروسيا ونمسا وروسيا وبلدانا أوربية أخرى ، وكان جيشه يخرج دائما من المعركة منتصرا مع أن القوات المعادية له كانت متفوقة عليه عددا .

(٣٣) فى عام ٣٨٣ خرج فوجيان ملك مملكة تشين بجيشه لغزو مملكة جين استخفافا بجيشها . ولكن جيش جين استطاع أن يهزم طلائع جيش تشين فى لو جيان من شيويانغ بمقاطعة آنخوى فاندفع يتقدم برا ونهرا . وصعد فوجيان على حصون مدينة شيويانغ وأطل على العدو فاذا بجيش تشين قد انتظم فى صفوف متراصة للقتال ، ثم وجه نظره الى جبل باقونغ فخيل اليه أن أشجاره هى جنود العدو فامتقع وجهه من الرعب ظانا أنه أمام عدو قوى .

(٣٤) فى عام ١٩٢٧ خان تشيانغ كاى شيك ووانغ جينغ وى وأتباعهما الجبهة الوطنية الديمقراطية المتحدة الأولى بين الكومينتانغ والحزب الشيوعى وشنوا حربا معادية للشعب استمرت عشر سنوات ، الأمر الذى حرم الشعب الصينى امكانية تنظيمه على نطاق واسع . والمسؤولية عن هذا الخطأ التاريخى لا مفر من أن تتحملها طغمة الكومينتانغ الرجعية بزعامة تشيانغ كاى شيك .

(٣٥) كان الأمير شيانغ هو ملك مملكة سونغ فى عهد الربيع والخريف فى القرن السابع قبل الميلاد . وفى عام ٦٣٨ ق . م وقعت حرب بين مملكة سونغ ومملكة تشو القوية . وكان جيش سونغ متأهبا للقتال فى حين لم يكن جيش تشو قد اجتاز النهر الفاصل بين الطرفين المتحاربين ، وعندما علم أحد وجهاء مملكة سونغ أن جيش تشو متفوق عدديا اقترح على الأمير أن يغتنم هذه الفرصة ويهاجم الجيش المعادى قبل أن يكمل اجتياز النهر . ولكن الأمير أجاب : « كلا ، ان الرجل الكريم لا يهاجم عدوا وهو فى موقف حرج . » ثم لما اجتاز جيش تشو النهر ولكنه لم يكن قد استعد للقتال عاد ذلك الوجيه ليقترح عليه مهاجمة جيش تشو . وأجاب الأمير قائلا : « كلا ، ان الرجل الكريم لا يهاجم جيشا قبل أن يكون على أهبة الاستعداد . » ولم يأمر الأمير بالهجوم الا بعد أن أتم جيش تشو استعداده للقتال . وترتب على ذلك أن مملكة سونغ منيت بهزيمة منكرة وأن الأمير شيانغ أصيب بجرح أيضا . راجع « تسوه تشوان » (تاريخ تسوه) ، السنة الثانية والعشرين من حكم الملك شى .

(٣٦) بعد أن استولى الجيش اليابانى المعتدى على بيبينغ وتيانجين فى عام ١٩٣٧ تقدم جنوبا على خط تيانجين — بوكو ، وهجم على مقاطعة شاندونغ فهرب هان فو جيو أمير الحرب للكومينتانغ ، الذى حكم مقاطعة شاندونغ سنوات عديدة الى خنان دون أن يقوم بأى مقاومة .

(٣٧) فى عام ١٨١٢ هاجم نابليون روسيا بجيش جرار يتألف من خمسمائة

ألف رجل . فانسحب الجيش الروسى من موسكو بعد أن أحرقها ، فألقى بجيش نابليون فى مأزق لا مخرج له حيث أذاقه الجوع والبرد وخرب خطوط المواصلات فى مؤخرته وضرب عليه حصارا ، مما حمل نابليون على الانسحاب بجيشه . وانتقل الجيش الروسى ، مستفيدا من هذا الوضع ، الى الهجوم المضاد ولم ينج من جيش نابليون الا زهاء عشرين ألفا من جنوده .

(٣٨) كان الكومينتانغ يوسع جيشه بهذا الأسلوب : يبث العساكر والشرطة فى جميع الجهات ليأخذوا الناس بالقوة الى الخدمة العسكرية ، وكان هؤلاء الضحايا يقيدون بالحبال كأنهم مجرمون . أما أولئك الذين يملكون المال فيمكنهم أن يرشوا موظفى الكومينتانغ ويشتروا لأنفسهم بدلاء فى الخدمة العسكرية .

(٣٩) فى عام ١٩٣٦ شنت الفاشية الألمانية والايطالية حربا عدوانية على أسبانيا مستخدمة أمير الحرب الفاشى الأسبانى فرانكو . فهب الشعب الأسبانى يقاوم تحت قيادة حكومة الجبهة الشعبية مقاومة بطولية دفاعا عن الديمقراطية وضد العدوان . وكانت أعنف المعارك وأضراها فى هذه الحرب هى معركة الدفاع عن العاصمة مدريد . واستمرت المعركة سنتين وخمسة أشهر ابتداء من أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٣٦ . ثم سقطت مدريد فى مارس (آذار) ١٩٣٩ بسبب أن بريطانيا وفرنسا وغيرهما من الدول الامبريالية ساعدت المعتدين تحت ستار سياسة « عدم التدخل » الكاذبة ، وبسبب الانشقاق والانفصال فى داخل الجبهة الشعبية .

毛泽东
論 持 久 战
＊
外文出版社出版（北京）
1968年第一版
編号：（阿）1050—930
00051
1—A—142P